

مربع نسخة



نسمة للآداب

غيلسن طفلة الظلال

نجود هلالي



غليس طفلة الظلال

غليس

طفلة للظلال

جود هلاي

جود هلاي

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزمية وإبداع جديد

الكتاب : غيلس طفلة الظل

المؤلف: نجود هلالي

غلاف الكتاب: مريم توركان

موك اب الكتاب: ملأك البقرى

تنسيق داخلي: منى وجيه

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبع بالحياة!

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني

إهداء من غيلس

إلى كل قلب خائف، إلى كل روح تحمل
ندوب الماضي وتخشى المواجهة...
إلى من ظن أن الظلم أبدي، وأن الألم
قدر لا مفر منه... إلى الذين انتظروا
العدل وخافوا من الطريق إليه...
إلى كل من يحتاج إلى جبر، إلى لمسة
رحمة، إلى نور وسط العتمة... هذه
الرواية لكم. تذكّروا دائمًا أن الله لا يترك
القلوب المكسورة،
 وأن المواجهة قد تكون البداية الحقيقية
للخلاص.

اهداء عام

إلى من كانوا سندًا حينما كاد اليأس أن يغلبني، إلى من آمنوا بي حين شرحت
بنفسي...

إلى عائلتي التي منحتني القوة، وإلى كل صديق كان نوراً في لحظات العتمة...

إلى القلوب الصادقة التي تفهم دون أن تحتاج إلى تفسير، وإلى الأرواح التي تنشر

الطمأنينة بكلمة واحدة...

هذه الرواية لكم، شكرًا لأنكم كنتم جزءاً من رحلتي.

إهداء خاص

إلى تلك الفتاة التي سقطت مراتٍ كثيرة،
لأنها انهضت في كل مرة أقوى مما
كانت...

إلى قلبي الذي تحمل ما لم يكن يجب أن
يتحمله، لكنه ظل ينبض بالأمل...

إلى روحي التي عاشت صراعاتها
بصمت، لكنها لم تفقد إيمانها بأن الله
يُجبر القلوب...

إلى عيني التي بكت يوماً خوفاً، لكنها
تلمع الآن فخراً بما وصلت إليه...

"هذه الرواية لكِ، دليل على أنكِ كنتِ
قادرة دائمًا، حتى حين شكتِ بذلك."

١٦ - ٢٥ الموافق ليوم الخميس
 وفي يوم ملائج يكاد يكون مهجورا
 منشدة الضلامة تجلس بطلتنا أمام التلفاز
 مربعة أرجلها على الأريكة تشاهد الفلم
 الذي كان الرقم الألف لأفلامها التي
 يطغى عليها طابع الغموض.

"غليس" لم تكن تتبع الفيلم بتركيز، بل
 كانت تحاول الهروب من أفكارها التي
 تطاردها. كيف وصلت إلى هنا؟ هل هذا
 البيت حقاً آمن؟ ولماذا تشعر وكأنها
 تلاحقها نظرات غير مرئية؟

غليس فتاة ريفية عاقلة ذات ملامح
 بريئة، أخرجت من مدرستها لظروف
 قاسية بعد أن كانت طفلة مثابرة ومحبة

للدراسة لكن لسوء حظها واجهت مالم
تكن تتوقعه كطفلة بريئة في عمرها.

"غليس" الآن تبلغ من العمر عشرون
عاماً يتيماً الأم فقد ماتت أمها من
ضعفها وحسرتها على زوجها الذي
تركهم، بعد أن ظنت أنه هجرها وابنته
في ظروف قاسية لينجو بنفسه من
قساوة الفقر.

أجبرت غليس في السابعة عشر من
عمرها على ترك منزلها والانتقال
لليش مع جدتها المسنة في مكان أقل
ما يقال عنه أنه مقطوع وخالي.

ذلك عائد لظروفها ووحدتها بعد أن
خسرت والديها كذلك هروباً من مصيرها
المجهول.

"غليس" كانت تعلم أن المجهول
سيراً فقاها أين ما ذهبت لكنها توقعت أن
بيت جدتها آمناً لها من مكان آخر فما
الذي تخفيه هذه الصغيرة؟.

- "انهضي!"

ترددت الكلمة في أذنيها كصدى بعيد،
لأنها لم تستطع أن تتحرك. كان صوتاً
مألوفاً وغريباً في آن واحد. من أين
أتى؟ وهل كانت تسمعه حقاً أم أنه مجرد
وهم صنعته عزلتها الطويلة؟

- "غليس!"

جاء الصوت قوياً عن المرة الأولى.
فتحت عينيها ببطء، تتأمل السقف.

وهي تدق فيه، راودتها ذكريات منزلها
القديم... دفء أمها المفقود، وصوت

الرياح التي كانت تصطدم بجدار
المنزل.

ثم اتجهت بنظرها إلى النافذة، ومنها إلى
باب غرفتها، حيث وقفت جدتها. كانت
نظرتها حادة، اخترقت أعماقها كخجر،
وكأنها تحمل في طياتها اتهاماً صامتاً.
ثم استدارت العجوز وذهبت، تاركة
غيلس غارقة في تساؤلاتها.

لم تفهم "غيلس" ما سبب تلك النظرة.

"ما بال هذه العجوز تنظرني هكذا
وકأنی قتلت ابنها؟"
فكرت في داخلها. فجأة، تعالت منها
ضحكة طويلاً، لكن سرعان ما تجدد
 وجهها من الغيض كعادتها.

نهضت وتوجهت للحمام، غسلت وجهها، وخرجت متوجهة إلى المطبخ. فور دخولها شعرت ببرودة البلاط تحت قدميها الحافيتين. كانت رائحة القهوة الباردة تعبق في المكان. الطاولة الموضوعة في المنتصف حملت طبق البيض المقلبي مع الطماطم، وإلى جانبه حبات الزيتون والخبز المحمص.

صوت عقارب الساعة كان يتردد في الأرجاء وكأنه يعاند الصمت المطبق. لوهلة، عادت بذاكرتها إلى الماضي.

"أمييبي!"

صرخت الطفلة الصغيرة وهي ترکض في الرواق. احتضنت أمها بحب طفولي بريء.

- "لقد استيقظتِ يا فلذة كبدي!"
ردت الأم بابتسامة، تمسح على رأسها.
- "ماذا تطبخين اليوم يا أمي؟"
- "ماءاً بسكر، يا صغیرتي. تعلمين أن
هذا كل ما لدينا."
- "لقد مللت من شرب الماء بالسكر!"
قالت غليس ببراءة وهي تبكي:
- "رأيت في حلمي أننا نأكل البيض
المقلبي!"
- عادت غليس إلى الواقع على صوت
جدها تقول:
- "ماذا بك تسرحين؟ أم أن البيض
المقلبي لم يعجبك بهم. أم أعد لك ماء
بسكر؟"

لم ترد غليس. اكتفت بنظرة غاضبة، وساحت الكرسي الخشبي بقوّة، ثم جلست عليه بصمت يخفي بركانًا من المشاعر.

في المط بخ الصغير، تمازج صوت طقطقة الأطباق مع رائحة الشاي المنبعثة من إبريق قديم على النار.

الجدة جلست على الكرسي الخشبي المعتماد، عيناهَا تلاحقان غليس وهي تتحرك بحذر كما لو كانت تخطط لشيء ما. بعد أن أنهت غليس فطورها، قامت واستأذنت جدتها أن تذهب للخارج.

"غليس": جدتي سأذهب خارجا رفعت الجدة حاجبًا وهي تحدق فيها

بنظرة تفيف بالشك والفضول، همهمت
بصوت منخفض يكاد يُسمع:
- "إلى أين يا غليس؟!"
وكأنها تحاول قراءة ما يدور في ذهن
حفيتها.

تجاهلت غليس نظرات جدتها التي
شعرت بثقلها على كتفيهما، وأجابت بنبرة
حاولت أن تبدو واثقة لكنها ارتعشت في
نهايتها:

- "سأذهب لشراء بعض المسالزمات،
أساساً أفتقد الكثير من الأشياء."

ضحكـت الجدة ثم قالت من بين
ضـحـكاتـها:

- غـليسـ أنتـ وـ الصـراـحةـ!ـ وـمـنـ مـتـىـ
تـقـولـينـ أـنـكـ ذـاهـبـةـ لـمـكـانـ وـتـذـهـبـينـ إـلـىـ

هناك أعلم أن أقوالك كأها للتمويه فقط،
هيا لا أريد إذهبني أين ما تريدين.

نظرت غليس لجذتها نظرة ثاقبة دون أن ترد، كادت أن تمشي، ثم توقفت للحظة ونظرت لجذتها نظرة غامضة، خليط من التحدي والخوف، ثم استدارت.

أمسكت غليس حقيبته الصغيرة بإحكام قبل أن تلتقط، وكأنها تخشى أن يسقط منها شيء مهم. قالت بصوت واهن وهي تتوجه نحو السلم:
ـ"لن أتأخر، جدتي."

تساقت السلم بخفة وكأنها تهرب من شيء يطاردها، لتخفي سريعاً عن أنظاره، بعد أن تساقت غليس السلم واختفت عن أنظار جذتها، توقفت للحظة

في الزاوية العلية تأملت بيت الجدة الذي حمل ذكريات طفولتها. كان شعوراً غريباً يجتاحها... مزيج من الحنين والخوف.

همست لنفسها: "لن يفهم أحد... حتى جدتي، رغم أنها تعرفني جيداً".

سرعان ما جمعت شتات أفكارها توجهت غليس إلى خزانتها وارتدى معطفاً أسود تعودت غليس على ارتدائها لتجول شوارع المدينة بتخفي.

هاهي غليس تنزل من النافذة الخلفية، تلأك النافذة التي لطالما كانت طريقها السري نحو العالم الخارجي. خرجت بخفة دون أن تصدر أي صوت، والتفت

لتأكد أن لا أحد من جي ران الريف يراقبها.

"غیلیس" فی نفسها:

-آه ياغيلس حتى في الأماكن المقطوعة
تتخفة ين حتى في الأماكن المقطوعة،
سامحك الله يا أمي على وصاياتك هذه.

أخذت غيلس تمشي بخطوات سريعة وقد
كان للثلوج التي كانت عائقاً بالنسبة لها
نصيب من كلماتها اللاعنة المتراكمة
عن جدتها، وقفـت إلى جانب الطريق
إنتظـرت لبـضـعة دقـائق إلـى حين أن مـرـت
شـاحـنة وأـقـلـاتـها

بين الأزقة الضيقة والأنوار الخافتة،
بدأت غيلاس تمشي بخطوات متسرعة،
متوجهة إلى مكان تعرفه جيداً. لم يكن

شراء المس تلزمات سوى ذريعة واهية؛
كانت تعلم أن جدتها محققة.

توقفت أمام باب قديم بلونٍ باهت،
وطرقت ثلاث طرقات خفيفة كما اتفقـت
مسبقاً.

فتح الباب ببطء، وظهر رجل في
منتصف العمر بملامح غامضة، نظر
إليها قائلاً بصوتٍ خافت:
ـ "أخيراً وصلت... هل أحضرت ما
طلبت؟"

ردت غليس وهي تخرج شيئاً من
حقيبتها الصغيرة:

ـ "بالطبع، لكن لا تنسى أننا اتفقنا على
أن تكون هذه هي المرة الأخيرة."
ابتسم الرجل ابتسامة باهتة وقال:

- "المرة الأخيرة؟ أنتِ تعرفين أن هذا مستحيل، پاغپلس...".

عادت غيلس أدرجها بعد أن فقدت ثقتها
من هذا المتطفل الذي طاردها كل هذه
السنين وكان تفكيرها مشوشًا:

- "إلى متى وانا ألبغي طباته هكذا الى
متى وهو يسد تغلني و الى متى سيسكت .."

أغمضت عينيها للحظة، محاولة إسكات الأفكار المتزاحمة في رأسها :

- "إلى متى سأظل أعيش في هذا الكابوس؟ لا أستطيع الاستمرار هكذا... يجب أن أضع حدًا لهذه المهزلة. لكنه قوي ، وأملك الكثير لأخسره."

فتحت غليس الباب بهدوء خوفاً من أن تصدر ضجيجاً يوْقِضُ الجدة، كان المنزل هادئاً يُغْرِقُ فِي ظلامٍ خافت، إلا من ضوء الساعة الحائطية التي يعكس ومضيه الباهت على الجدران.

وعقارب الساعة تواصل رحلتها الرتيبة، كأنها تذكرها بثقل اللحظات التي عاشتها في الخارج.

الهدوء ..

هوت غليس لتخلع حذائها وهي تقول بصوت منخفض :

-"يجب أن تكون تلك العجوز قد نامت فأنا ليس لدي أي طاقة للجدال معها وسماع المحاضرات"

قاطع ذلك الهدوء صوت جدتها الذي
جاء صدأه من بعيد كسهم إختراق داخل
غليس، اقتربت الجدة بخطوات ثابتة،
عيناها تضيقان في الظلم كأنها تحاول
التحقق من ملامح حفيتها قائلة وهي
تردد ما قالته غليس صباحاً بسخرية
وغضب:

- "لن أتأخر؟! هذاما قلتـه، أليس كذلك؟"
هل الثانية صباحاً تُعتبر باكرًا؟"
تجنبت غليس النظر إلى الجدة،
وأخفضت رأسها بينما كانت تنزع
وشاحها بصمت:

- "لما تأخر عن قصد... أنت تعرفين كيف
تسير الأمور هنا، ولو لم تكن هناك

شاحنة ذاهبة وأخرى قادمة لبقيت انتظر

هناك لصباح يوم غد.."

صمتت الجدة للحظات، لكنها ألم ترفع

عينيهَا عنها، وكأنهَا تزن كلمات

حفيتها بعين خبيث يعرف أن ما بين

السطور أثقل من الكلمات ذاتها:

-"نعم، أدرى... كما أني أعلم جيداً أنه

ليس سبب تأخرك. إذهب بي الآن إلى

غرفتك لتنامي، سنتكلم غداً."

بينما استدارت غليس متوجهة إلى

غرفتها، شعرت بنظرات الجدة تحاصرها

من الخلف.

قبضت يدها على طرف الوشاح كأنها

تحاول التمسك بشيء يمنعها من

الانهيار.

فكرة بصمت:

- "لا أستطيع إخبارها... ليس الآن. غداً،
سيكون على التصرف قبل أن تفتح كل
الأبواب المغلقة."

في طريقها إلى غرفتها، كانت خطواتها
تصطك بأرضية الخشب الباردة. خلفها،
استمرت عقارب الساعة تدق في إيقاع
ثابت، كأنها تذكرها أن الوقت لا ينتظر
أحداً، وأن الغد قد يحملأسوأ مما
تخشاه.

فتحت غليس باب غرفتها دخلت وأغلقت
الباب بالمفتاح وسمعت صوت القفل
وهو يلتهم الصمت المحيط، وبشرت في
الجلوس على سريرها كي تريح أرجلها

التي تثاقل من البرد و الحوار الموتر
بینها وبين جدتها.

ألقت بجسدها المتعب على السرير، حيث
كان الفراش بارداً كأنما احتضن البرد
من نافذتها، حاولت التنفس ببطء لكن
أنفاسها المضطربة كانت تخرج كما لو
أنها ترفض الهدوء واحدة تلوى الأخرى
لعلها تننظم.

بعد أن استراحت قليلاً أغمضت عيناهما
محاولة منها طرد ما يدور في ذهنها
لكنه لم تستطع إغلاق باب الأفكار الذي
انفتح فجأة:

- "إلى متى سأظل عالقة في هذا الوضع؟
كيف يمكنني الهرب من قبضته دون أن
أخسر كل شيء؟"

الآفكار تتـوالـى، تـطارـد بـعـضـهـا، كـأنـهـا
أـمـواـج تـتـكـسـر عـلـى جـدـران عـقـلـهـا
المـتـعب.

أخذت تتقا ب فوق السرير بينما الريح
تصرخ كأنها تخبر الشجرة أمام نافذتها
بأسرار الليل. الأوراق تهتز بعنف،
ترمي بظلالها المترافقصة على الجدران
المظلمة، مما جعل عينيهما تلاحقان تلك
الظلال في قلق.

الظلمة ونسمات البرد تتسلل من تحت
الحاف وكل تلك الأفكار كانت كفيلاً بأن
طرد النعاس خارج ذلك المربع الصغير
المظلم. كانت الظلمة ثقيلة، تسكن كل
زاوية من الغرفة كأنها عدو يتربص
بها.

حتى اللحاف الذي غطّت به جسدها بدا
كأنه لا يكفي لصد البرد الذي كان أكثر
من مجرد هواء... كان شعوراً، خوفاً
يتسلل إلى داخلها دون استئذان.

بعد أن استسألت لفكرة أن النوم لن
يأتي، قامت غليس من فراشها المثقل
بالبرد.

فتحت باب غرفتها بخفة، محاولةً إلا
تُصدر صوتاً في المنزل الهدئ.

توجهت إلى المطبخ، حيث اسْتقبالتها
رائحة باردة تفوح من الثلاجة عند
فتحها. ضوء هاتفها يتراقص على وجه
الثلاجة المعدنية، وعيناهَا تبحثان عن
شيء يهدئ أصوات معدتها المتضامنة
مع عواصف الليل الثلجية.

قابلتها حبات الموز والبرتقال أما في
الدرج أسلف لهم فيوجد قدر من مرق
الخضار وقطعة من الدجاج، تأفت
غليس لأنها لا تحب أكل مرقة الخضار
غطت القدر كما الأول.

أخرجت موزة وبرتقالة بحركة متلائمة،
وكان جسدها لا يزال يحمل عباء
أفكارها الثقيلة. تأفت وهي تنظر إلى
قدر مرقة الخضار، وكانتها تعاتب نفسها
على رغبتها في شيء أفضل من هذا
الواقع البسيط. قشرت ما في يدها
ووضعتهم في صحن وكأس من الماء
وصعدت إلى غرفتها.

عادت إلى غرفتها وأغلقت الباب بإحكام،
وجلست على الكرسي أمام التلفاز.

تقابـت بين القـوات حتـى توقفـت عـن دـفـيـلـم
مـثير عـن جـريـمة قـتلـ. عـينـاهـا تـتـابـعـانـ
الـقـاتـلـ بـحـمـاسـةـ غـرـيبـةـ، وـكـأـهـا تـرـىـ
نـفـسـهـا فـيـ مـكـانـهـ، تـتـخـلـصـ مـنـ كـلـ الـقـيـودـ
الـتـيـ تـحـاـصـرـهـاـ.

"أـحـسـنـتـ!"

همـسـتـ بـحـمـاسـ وـهـيـ تـتـابـعـ المـشـهـدـ،
خـلـافـًاـ لـمـنـ سـيـشـعـرـ بـالـرـعـبـ فـيـ مـثـلـ هـذـاـ
المـوـقـفـ. لـكـنـ وـسـطـ الـحـمـاسـةـ، شـعـرـتـ
غـلـيـسـ بـشـيـءـ يـخـترـقـ أـعـماـقـهـاـ، وـكـأـهـاـ
تـعـيـدـ مشـاهـدـةـ شـرـيطـ حـيـاتـهـاـ، مشـهـدـاـ بـعـدـ
آخـرـ. تـوـقـفـتـ يـدـهاـ التـيـ كـانـتـ تـعبـثـ
بـشـعـرـهـاـ دـوـنـ وـعـيـ، وـسـقطـتـ نـظـرـتـهـاـ
عـلـىـ انـعـكـاسـهـاـ فـيـ شـاشـةـ التـلـفـازـ عـنـدـمـاـ
تـغـيـرـ المـشـهـدـ إـلـىـ الـظـلـامـ.

- "أهذا أنا؟"

همست بصوت يكاد لا يُسمع، نهضت ببطء، متوجهة إلى النافذة، تسحب ستائر قليلاً لترأقب ظلال الشارع المظلم. ذلك الشعور بالحرية الذي شعرت به قبل لحظات اختفى، وحل مكانه إحساس ثقيل، كأن العالم بأسره يتآمر ضدها.

- "لا... لن أسمح لهم بِاسقاطي."

صوتها أصبح أكثر حزماً، رغم ارتعاشة خفيفة لم تخف عليها.

بينما كانت تراقب الخارج المظلم من خلف ستائر، أخذت غليس تسرح في ذكرياتها، وكأن الليل أصبح بوابة تعيدها إلى الماضي. غليس الصغيرة، الطفلة

ذات البشرة البيضاء كالثلج، كانت دائمًا مختلفة عن الآخرين. عيناهَا الواسعتان، بلون القهوة الداكنة، تحملان مزيجًا من البراءة والغموض، جعلتا كل من يراها يتوقف لحظة وكأنه يبحث عن سرٍّ مخفي في أعماقها.

لم تكن طفولتها كأي طفولة أخرى. في ذلك المنزل القديم الذي كانت تعيش فيه، كانت تسمع دائمًا همسات الكبار تتحدث عنها وكأنها لغز:

-"انظروا إلى عينيها... ليست عادية."

-"طفلة مثلها ستكبر لتفعل شيئاً عظيماً... أو مخيفاً."

لكنها لم تفهم آنذاك ماذا يعني ذلك، ولم تكن تريد أن تفهم. كل ما كانت تعرفه

هو أنها مخففة، وأن تلك الاختلافات حملت معها نظرات غيره، وخوفاً لم تستطع تفسيره.

عادت من شرودها فجأة، إذ دوى صوت سيارة مسرعة في الخارج، كسر هدوء الليل وأعادها إلى الحاضر. نظرت إلى انعكاسها في زجاج النافذة، وكأنها ترى تلك الطفلة الصغيرة التي لم تغادرها أبداً.

- "هل كان قدرني مكتوباً منذ البداية؟"

تساءلت بصوت خافت، قبل أن تسدل ستائر وتعود إلى كرسيها أمام التلفاز.

بعد انتهاء الفيلم الذي لم تكن تشاهده حقاً، بل كانت تسرح في مشاهده كما لو أنها تعيid كتابة قصتها الخاصة، تنهدت

غليس بعمق. المشاهد كانت تمر أمامها كظلال، لكن عقّالها كان يغوص في أماكن بعيدة.

نهضت من كرسيها بتثاقل، وكأن الفيلم أفرغ ما تبقى من طاقتها. سارت نحو النافذة مجدداً، لكن هذه المرة لم تفتح السرائر. وضعت يدها على الزجاج البارد، تتأمل إحساس البرودة الذي اخترق أطراف أصابعها.

-"كم يشبه هذا البرود ما أشعر به في داخلي"، همست لنفسها.

خطواتها كانت متربدة عندما ابتعدت عن النافذة واتجهت نحو المرأة المعلقة على الحائط. نظرت إلى انعكاسها طويلاً، وكأنها تبحث عن شيء ضائع فيها. لم

تكن ترى مجرد وجهه، بل تراكمات سنوات، وخيبات، وأحلام دفنت قبل أن ترى النور.

-"كل شيء يبدو خاطئاً..."

تمتمت، قبل أن تمسح شعرها خلف أذنيها بعصبية. شعرت بحاجة إلى فعل شيء، كسر هذا الصمت القاتل الذي يلتهمها ببطء. لكن ماذا؟

الأفكار بدأت تتصارع في رأسها، حتى أن الصدى في داخلها أصبح أقوى من أي صوت خارجي.

عادت غليس مرة أخرى إلى الكرسي، جلسَت عليه لدقائق معدودة، تحاول عبثاً أن تجد راحة في هذا السكون الذي يحيط بها. لكن سرعان ما شعرت بالاختناق،

وكان هذا المكان يعكس اضطرابها الداخلي. نهضت فجأة، دون تفكير، واتجهت إلى سريرها بخطوات متعددة.

هذه المرة، لم يكن السرير مجرد ملاذ لجسدتها المتعب، بل رغبت بشدة في الهروب إلى عالم آخر، عالم يعيد ترتيب فوضى أفكارها. تمددت على الفراش بهدوء، وأغمضت عينيها ببطء، مستسلمة إلى الظلام الذي يغمر الغرفة.

لأنها لم تغمض عينيها كعادتها، محاولة الهروب من الأفكار المزعجة التي كانت تطاردها كل ليلة. لا، هذه المرة أرادت أن تسام بسلام، أن تمنح نفسها فرصة للاستراحة الحقيقية.

همست بصوت خافت، وكأنها اتعـد
نفسها:

- "هذه الليلة ستكون مختلفة. سأترك كل
شيء خلفي... ولو لحظة."

غطـت جسـدها بالبطـانـيـة وسـعـت إـلـى
تهـدـئـة أـنـفـاسـهـا. كـان الصـمـت فـي الغـرـفـة
ثـقـيـلاً، لـكـنه بـداـلـهـا هـذـه المـرـة أـقـلـ
وـحـشـة، وـكـأنـهـا وجـدتـ فـي دـاخـلـهـ زـاوـيـةـ
صـغـيرـةـ منـ الأمـانـ.

في صـبـاحـ الـيـومـ التـالـيـ، اـسـتـيقـظـتـ غـيلـسـ
بنـشـاطـ لـمـ تـعـهـدـ مـنـذـ فـتـرـةـ طـوـيـلـةـ. شـعـرـتـ
وـكـأنـ شـيـئـاـ بـداـخـلـهـا تـغـيـرـ، وـكـأنـهـاـ
اسـتـيقـظـتـ عـلـىـ بـدـايـةـ جـديـدةـ لـمـ تـكـنـ
تـخـطـطـ لـهـاـ. تـوجـهـتـ إـلـىـ الحـمـامـ، وـسـمـحتـ
لـتـيـارـ المـاءـ الدـافـيـ بـأـنـ يـزـيـلـ بـقـائـاـ الـأـفـكـارـ

الثقلة التي أرقتها طويلاً. شعرت بنعومة الماء على بشرتها، وكأنها تظهر نفسها من شيء غير مرئي.

بعد أن أنهت حمامها، وقفت أمام المرأة، تأملت وجهها الحذات. وجهها الطفولي المليء بالبراءة لم يكن بحاجة إلى الكثير، لكن رغم ذلك، وضع القليل من مساحيق التجميل، مجرد لمسات خفيفة أبرزت ملامحها الهادئة.

توجهت إلى خزانة ملابسها، تبحث عن شيء يعكس شعورها الجديد. وقع اختيارها على فستان شتوي أسود يصل أسفل الركبة بقليل، لونه المفضل الذي يعكس مزيجاً من الغموض والقوة التي طالما شعرت بها في داخله. أكملت

مظهرها بـ ذاء أسود ذي كعب، كان مختبئاً في الخزانة وقد كاد أن يعلوه غبار النسيان. نظفته سريعاً، وكأنها تعيد إليه الحياة.

وقفت أمام المرأة مرة أخرى، وأخذت خطوة للوراء لتأمل نفسها. لم تكن معتادة على هذا المظهر، لكنه جعلها تشعر بشيء مختلف... شيء جميل.

ابتسمت لأول مرة منذ مدة، ابتسامة صغيرة لكنها صادقة.

"حسناً، لنر ما يخبئه هذا اليوم"

قالت بصوت عالٍ، ثم التقطت حقيبتها وخرجت، مستعدة لمواجهة العالم بوجه جديد وروح جديدة.

نزلت غليس إلى الطابق الأرضي
بخطوات ثابتة، وصوت صدى كعب
حذائها يتردد كإيقاع واضح في أرجاء
المكان الهادئ. كان الصوت كافياً
ليخترق أذن الجدة، التي كانت تجلس
على أريكتها في الزاوية، تتبع بصمت
عقارب الساعة وهي تمر ببطء.

رفعت الجدة رأسها بحركة بطيئة،
عيناهَا تحملان نظرة استفسار دون أن
تنطق بكلمة.

لم تكن العلاقة بينهما قريبة بما يكفي
لتبادل العبارات اللطيفة، بل كانت أشبه
بجسر هش، مليء بالصمت والكلمات
المبتورة.

عندما اقتربت غليس منها، أوقفت خطواتها للحظة وقالت بصوت هادئ لكنه حازم:

- "سأخرج اليوم، يا جدة. قررت أن أبحث عن عمل. لم أعد أتحمل الجلوس هكذا بدون فعل أي شيء."

الجدة، التي كانت معتادة على الصمت أكثر من الكلام، اكتفت بإيماءة خفيفة، ولم تُظهر أي تعبير واضح على وجهها. لكنها أرمقت حفيتها بنظرة طويلة، وكانتها تحاول قراءة ما خلف كلماتها، ثم

قالت بجفاف:

- "كما تشاءين... طالما أنكِ تعودين قبل المساء."

لم تكن غليس تتظر دعماً أو اعتراضاً.
اعتمدت على هذا النوع من الإجابات
المقتضبة من جدتها، لذا اكتفت به زر
رأسها بخفة قبل أن تتابع طريقها نحو
الباب، تاركة خلفها صدى خطواتها
يتلاشى شيئاً فشيئاً.

توقفت غليس للحظة أمام الباب، ترددت
قليلاً وهي تشد قبضتيها. لم يخف هذا
التردد على الجدة، التي كانت تراقب
حفيديثها بصمت، لكن عيني خبيرة لا
يفوتها شيء.

رفعت حاجبها وقالت بنبرة خفيفة تحمل
مزيجاً من الفضول والاختبار:
ـ "ماذا أيضاً؟"

استدارت غليس نحوها ببطء، عيناهَا
متردّدان، وبذات تفرّك يديها بتوتر.

ابتلعت ريقها قبل أن تقول بتردد:

-"أريد سيارتك..."

توقفت للحظة وهي تقرأ تعابير وجه
جذتها، ثم أسرعـت بالكلام بنبرة تتسلـل

بها:

-"أعدك، لن يحصل لها شيء. سأقود
بحذر شديد، فقط هذه المرة... كما أنك
تعلمين أنه لا وجود للباص أو سيارات
الأجرة في هذا المكان."

خفضـت غليس رأسها قليلا، محاولة
إثارة شفقة جذتها، التي ظلت تنظر إليها
بثبات لبضع لحظات، تزن كلماتها
وموقفها. كانت الجدة تعلم جيداً عنـادـ

حفيتها، لكنها رأت أيضًا حاجة صادقة في عينيها هذه المرة.

تنهدت الجدة أخيراً وقالت بنبرة شبه صارمة:

"حسناً، لكن بشرط واحد... لا تخرجي عن كلمتك. السيارة ليست لعبة، وأنا لا أريد أن أندم على موافقتي."

رفعت غليس رأسها بسرعة، وعلى وجهها ارتسمت ابتسامة خفيفة، مليئة بالامتنان.

"أعدك، لن تندمي." قالتها بحماس، ثم اتجهت نحو المفتاح الذي كانت تعرف مكانه جيداً، بينما الجدة تابعتها بنظرة مليئة بمزيج من القلق.

بعد أن خرجت غليس من المنزل، وقفت على العتبة لحظة، والابتسامة لا تزال مرسومة على وجهها. استنشقت الهواء البارد بعمق، وكأنها تحاول أن تملأ رئتها بشعور جديد من الحرية والأمل. ألقت نظرة سريعة يمينًا ويسارًا، تبحث عن السيارة بعينيها. خطت بضع خطوات إلى الأمام، ثم توقفت وهي تواجه المنزل، حائرة لحظة. رفعت نظرها فجأة لترى جدتها واقفة عند النافذة، تراقبها بصمت. بدت الجدة غير متأثرة، لكن عينيها كانتا تتحدثان بلغة لا تخطئها غليس. أشارت الجدة بيدها بهدوء نحو الجانب الآخر من المنزل، موجهة غليس إلى مكان السيارة.

ابتسمت غليس بخجل وأومأت برأسها،
 ثم أسرعت بخطواتها نحو الجهة
 الخلفية. كان الهواء من حولها يداعب
 شعرها الأسود المنسدل على ضهرها
 وهو يحمل شيئاً من البرودة، لكنه لم
 يزعجها. بدا وكأن كل تفصيلة، من
 حركة جدتها إلى نسيم الصباح، تشير
 إلى بداية مختلفة لهذا اليوم.

وقفت غليس على بعد بضع خطوات من
 السيارة، تحدق بها بدھشة وكأنها ترى
 شيئاً لا يصدق. لم تستطع منع نفسها
 من التساؤل بصمت: متى جددت جدتي
 سيارتها؟ عيناهَا كانتا تلمعان بالإعجاب،
 وكأن هذه السيارة الفاخرة، الرنج روفر
 السوداء اللامعة، قد أسرت عقلها.

تقى دمت ببطء، وكأنها تخشى أن تخترق
السيارة إن اقتربت فجأة. مدت يدها
ولمست الزجاج أولاً، ثم أطراف الهيكل
الأنيق. ابتسامت بسخرية خفيفة وقالت
بصوت مرتفع لنفسها:

- "عجوز... و سيارة رنج روفر! لعلها
تريد العودة إلى شبابها!"

ضحكـت بخفة، وهي تتخيل جـدتها خـلف
عجلـة الـقيادة، لكن هـذا لم يـبعـد عنـها
شعور الامتنـان. أخذـت نفسـا عميقـا، ثم
أخرجـت المـفتـاح من جـيبـها، ووجهـتـه
نـحو السيـارـة لـفتح القـفل.

عـندـما فـتحـت الـباب وركـبت، شـعرـت
بالـراحـة بـين المقـاعـد الجـلـدية النـاعـمة

ورائحة السيارة الجديدة التي تملأ المكان.

أمسكت بالمقود لبضع لحظات، وكأنها تبتعد لانطلاقة طال انتظارها. أدارت المفتاح، وبدأ المحرك يزأر به دوء، مما زاد من حماسها.

بابتسامة واثقة على شفتيها، انطلقت غليس بالسيارة، تاركة خلفها المنزل والذكريات التي شعرت للحظة أنها تنقل كاهلها. كانت تعلم جيداً أن هذا اليوم مختلف، وأن وجهتها قد تحمل بداية جديدة لحياتها.

بينما كانت غليس تقود السيارة، راحت عيناهما تتأمل الطريق المغطى بالثلوج البيضاء النقيّة. على جانبي الطريق،

كانت ترى البيوت الصغيرة المتراسدة،
والدافئ التي تتبع منها أذخنة خفيفة
تدفئ الجو البارد.

توقفت عيناهما عند مجموعة من
الأطفال، يركضون بحماس ويضم حكون
بصوت عالٍ وهم يتقدّمون كرات الثلج.
في زاوية قريبة، كان اثنان منهم ينحثان
رجل ثلج بآيديهم الصغيرة المرتعشة،
يضعان له أنفًا من الجزر وقبعة قديمة.

ابتسمت غليس، وكأنها ترى هذا المشهد
لأول مرة، رغم أنه مألوف في قريتها
الهادئة.

شعرت للحظة أن هذه البساطة تحمل
نوعاً من السعادة التي طالما شعرت
بأنها بعيدة عنها.

كانت تتحكم بعجلة القيادة بإحكام، لكن عقلها سارح في فكرة أكبر: أتمنى لو أستطيع التحكم بحياتي كما أتحكم بهذه السيارة...

داخلياً، شعرت وكأنها اتخذت خطوة نحو شيء مختلف، شيء يمنحها الأمل. كانت السعادة التي تغمرها أكبر مما توقعـت، شـعرت وكأنها امتلكـت العـالم بأكمله، ولو لـلحـظـات مـعدـودـة.

-"ربما... هذه هي البداية التي كنت أحتاجها،"

تمـمت لنفسـها وـهي تتـابـع الـقيـادة باـبـتسـامة عـريـضـة، تـارـكـة خـالـفـهـاـكـل المـخـاـوفـ والـقـيـودـ.

بعد ساعتين من القيادة المتواصلة، وصلت غليس إلى حي شعبي مكتظ، شوارعه ضيقة وحركة الناس فيه لا تهدأ. نظرت حولها بتركيز، تفحص كل زاوية وكل تفاصيل المكان. تمت لنفسها بصوت خافت:

-"أظن أنه هو... أو ربما أكون مخطئة... لا، لا، أعتقد أنني على حق. لا يهم، سأبحث بهدوء وبكل الأحياء حتى أجده."

تابعت القيادة بحذر شديد، تفادى المارة الذين يعبرون الطريق دون اكتراث، تتطلع يميناً ويساراً على لافتات المحلات المتراسقة، عيناهَا تراقبان كل شيء وكأنها تحاول التقاط أثر خفي.

لَكْن فجأة، وَمِنْ دُونْ أَيْ إِنْذَارٍ، ضَغَطَتْ غَيلِيس عَلَى الفِرَامِل بِقُوَّةٍ، لَتَتَوقَّفِ السِّيَارَةُ فِي مَكَانِهَا. ارْتَجَ جَسْدُهَا مَعَ التَّوْقِفِ الْمُفَاجِئِ، وَتَغَيَّرَتْ مَلَامِحُهَا عَلَى الْفَورِ. شَبَّ حَبَّ وَجْهَهَا وَكَانَ الْحَيَاةُ انسَبَتْ مِنْهُ فِي لَحْظَةٍ، وَعَيْنَاهَا اتَّسَعَتْ بِصَدْمَةٍ، بَيْنَمَا ظَلَّتْ تُحدِقُ بِشَيْءٍ مَا أَمَامَهَا.

كَانَ المُشَهَّدُ أَمَامَهَا أَشْبَهُ بِمَا لَا يُمْكِنُ تَصْدِيقَهُ، أَوْ رِبَّما بِمَا كَانَتْ تَخْشَى أَنْ تَرَاهُ. شَعَرَتْ أَنَّ الْهَوَاءَ أَصْبَحَ ثَقِيلًا حَوْلَهَا، وَيَدَاها الْمُرْتَجَفَتَانِ لَا تَرِزانَ مُتَمَسِّكَتَيْنِ بِالْمَقْوَدِ.

بَقِيتْ غَيلِيس مُتَجَمِّدةً فِي مَكَانِهَا، كَأنَّهَا عَالِقَةٌ بَيْنَ لَحْظَةِ الصَّدْمَةِ وَالْوَاقِعِ. لَمْ

تحرك أي جزء من جسدها سوى بؤبؤي عينيها، اللذين كانا يلاحقان ببطء ذلك الجسم الضخم الأزرق الذي توقف عند نافذتها.

كان شرطياً يرتدي زيه الرسمي الأزرق الداكن، قامة طويلاً وكتفان عريضان يمنحانه هيبة إضافية. وجهه كان صارماً لا يعكس أي مشاعر واضحة، ونظراته الحادة كانت مصوبة مباشرة نحوها. وقف بثبات بجانب السيارة، كأنه صخرة لا تتحرك.

شعرت غليس وكأن الزمن توقف. الهواء داخل السيارة أصبح ثقيلاً، ودقates قلبها أخذت في التسارع مع كل لحظة يقترب فيها الشرطي من نافذتها.

عيناهَا كانت تراقبان كل حركة له،
تحاول أن تقرأ ما إذا كان يحمل شوكوغاً
تجاهها أو أن وجوده محض صدفة.

هل كنت أسرع؟ هل فعلت شيئاً خطأ؟
لماذا أوقفني؟ تسائلت بصمت، بينما
يدها ظلت ثابتة على المقود، وجسدها
متجمد في مكانه. شعرت أن الشرطي لم
 يكن مجرد شخص عادي في هذه
لحظة، بل ظل ثقيل يعكس كل المخاوف
التي حاولت قمعها طوال الطريق.

رفع الشرطي يده بثبات، وطرق بسبابته
على زجاج نافذة السيارة. كان الصوت
الحاد الصادر عن الطرْق كافياً لاذابة
الجليد الذي قيد غليس في مكانها.

شعرت وكأنها تُجبر على العودة إلى الواقع، لتحرر أخيراً من صدمتها.

نظرت إلى الشرطي للحظة، وكأنها تحاول استيعاب الموقف. فهمت مقصده بسرعة، لكن توترها جعلها تبدأ بفرك يديها الباردتين ببطء، محاولة تدفئهما، رغم أن مدفأة السيارة كانت تنشر هواءً دافئاً كافياً. كان الشعور بالبرودة قادماً من الداخل، من أعماق ارتباكيها وليس من الجو.

أخذت نفساً عميقاً، ثم مدت يدها المرتعشة نحو القفل الميكانيكي ببطء. ضغطت عليه، وبدأ الزجاج ينخفض تدريجياً، وكأن كل حركة له كانت تزيد من توترها. عندما أصبح الزجاج

منخفضاً بما يكفي، رفعت عينيهما بحذر نحو الشرطي، محاولة إخفاء ارتباكتها خلف ملامح هادئة.

-"هل هناك شيء؟"

قالت غليس بهدوء، رغم أن الخوف كان قد سيطر على داخلها وأخذ يشد أعصابها. حاولت أن تبدو هادئة، لكن الصوت الذي خرج منها كان أقل تأكيداً مما كانت ترغب فيه.

رد عليها بصوت رجولي غليظ، حاول أن يكون أكثر ودية:

-"مرحباً، أنا دانيال كيرن، شرطي مرور."

كان الهدف من ترحيب دانيال أن يلطف الجو بعد أن لاحظ التوتر والخوف

الواضحين على ملامح غليس. رأها
وكانها تتصارع مع شيء ما بداخلها.

أخذت غليس نفساً عميقاً، محاولة تهدئة
نفسها، ثم أجبت بصوت مرتفع نوعاً
ما:

"مرحباً، أنا غليس."

لم تستطع السيطرة تماماً على ارتجاف
صوتها، الذي كشف عن ضعفها في تلك
لحظة، حتى وإن حاولت إخفاءه.

أكملت غليس كلامها بحدة، محاولة أن
تُظهر ثباتاً لم يكن ينعكس تماماً على
مشاعرها الداخلية:

"سيد كيرن، لقد قطعت طريقي وأنا في
عجلة من أمري. هل يمكنك قول ما تريد

بسرعة، ألم أنتي سأذهب في طريقي
دون سماحك؟"

تفاجأ الشرطي دانيال من تقلب مزاج الفتاة المفاجئ، والتي انتقلت من ارتباك وخوف واضح حين إلى شخصية حادة وحازمة في لحظة واحدة. لم يكن يتوقع أن تتحول مشاعرها بهذا الشكل السريع.

أطّال دانيال النظر في عينيها بتحدي، ثم ابتسם ابتسامة جانبية وكأنما يريد تهدئة الموقف بطريقة غير مباشرة، وقال:
-. لا تخافي، سأذهبين، لكن على قدميك."

أضاف وهو يرمقها بنظرة سريعة -. أيتها السيدة الصغيرة."

كانت كلماته تحمل نبرة خفيفة من السخرية، مما جعل الموقف أكثر تعقيداً بالنسبة لغليس، التي لم تعرف بعد كيف ستتصرف مع هذه الشخصية التي تجمع بين الحزم والتهكم في آن واحد.

تكلمت غليس بـ نفس الحزم، محاولة إخفاء غضبها:

- "عن أي قدمين تتحدث؟"

ثم أكملت بغضب طفولي:

- "كما أن إسمي هو السيدة غليس، وليس السيدة الصغيرة. هل فهمت؟"

ضحك دانيال الشرطي على غضبها بسبب لفظ "صغريرة"، وعيناه تتلقان بالسخرية:

- "أليس لديك قدمين، أيتها السيدة الصغيرة؟"

رمقته غليس بنظرة حادة، وكأنها تقول له "كف عن ذلك".

لاحظ دانيال نفسه، فعدل منسلوكه وأعاد إلى وجهه الصرامة، وركز نظراته الحادة في عينيها قائلاً:

- "آسف، سيدة غليس. لا يمكنني قيادة السيارة داخل هذه الأحياء، لهذا أوقفتني. قد تكونين جديدة هنا، ولهذا لن أقدم لك أي مخالفة. يمكنك الآن أن تخرج بي سيارتك إلى الموقف هناك."

ثم مشى بضع خطوات وألتفت ليضيف بنبرة حازمة:

- "افعل قبل أن أغير رأيي."

وأكمل سيره مبتعداً.

نظرت غليس إلى طيفه وهو يبتعد
بغضب، ثم قالت بسخرية، محاولة تهدئة
نفسها:

-"السيدة الصغيرة، نينيني..."

كانت كلماتها تحمل سخرية واضحة ،
لأنها كانت تخفي وراءها توبراً أكبر مما
أرادت أن تُظهره.

أرجعت غليس السيارة للوراء ببطء
وهي تتجه نحو المكان الذي أشار إليه
الشرطي، حركة يديها على المقود كانت
دقيقة، وكأنها تحاول أن تسسيطر على كل
مشاعر التوتر التي انتابت قلبها. توقفت
المركبة السوداء اللامعة داخل المستطيل

الأبيض المرسوم على أرضية الزفت،
وأخذت نفسا عميقا قبل أن تخرج.

نزلت من السيارة بحذر، وأغلقتها من الخارج باستخدام المفتاح. كانت أصابعها ترتعش قليلا، فبدأت تضغط على القفل مرارا وتكرارا، وكأنها تبحث عن راحة نفسية في تلك الحركة الميكانيكية.

الصوت الذي كانت تتذكره من حديث جدتها لها، تردد في أذنيها أصوات

بعيدة:

- "أعدك، لن يحصل لها شيء. سأقود بحذر شديد."

تذكرة الكلمات الأخرى التي قالتها جدتها، والتي حملت في طياتها تحذيرا:

- "حسناً، لكن بشرط واحد... ألا تخرجني عن كلمتك. السيارة ليست لعبة، وأن أنا لا أريد أن أندم على موافقتي."

كان صوت جدتها في ذاكرتها كحبـل مشدود، يربطـها بين الحذر والحرية التي شعرت بها في تلك اللحظـة.

أدارت غـليس ظهرـها ومشـتـتـ بخطـوات مشـتـتـة، لا تعلم أين تتجـهـ، وهي تبحثـ عن المقهـى الذي جاءـتهـ من أجلـهـ. بعد بحـثـ شـاقـ، وبعد أن بدـأتـ تفقدـ الأملـ، لـفتـ انتـباـهـها رـجـلـ عـجـوزـ يـجـلسـ بـجـوارـ مـقهـىـ قـديـمـ. قـالـتـ فـيـ نـفـسـهـاـ:

- "على حـسبـ علمـيـ وـخبرـتـيـ، هـذاـ العـجـوزـ قـديـمـ هـنـاـ، لـابـدـ أنـ يـكـونـ لـهـ عـلـمـ بـماـ أـبـحـثـ عـنـهـ."

اتجهت إليه دون تردد، وجلست بجواره،
محاولة أن تخفي ما يعتمل داخلها من
مشاعر مضطربة.

- "ألا أيها العم، هل يمكنني أن أسألك
سؤالا سريعا؟ لن آخذ من وقتك الكثير."

أجابها العجوز بصوت هادئ:

- "إسألي يا ابنتي."

سقطت هذه الكلمة على رأس غليس
كالماء المثلج، كأنما أصابتها صاعقة
مفاجئة.

نظرت إليه بعينيها التي كانت قد احمرت
من الغضب، نظرة حقد وكره، وكأنها
كانت ستقتله في تلك اللحظة. تمسكت
بذراع الكرسي الجالسة عليه بقوة،
محاولة أن تفرغ فيه كل ما تراكم

بداخلها من غضب، لكنه أخفى أن
تتهور.

قامت من مكانها بسرعة، لا تريدها أن
تبقى بجواره أكثر. جرت مبتعدة عنه، ثم
دخلت أحد الأروقة الضيقة واتكأت على
حائطه، متسرعة في تنفسها وكأنها
تحاول أن تزيل تلك المشاعر التي غزت
صدرها فجأة.

أخذت غليس ترخي جسدها شيئاً فشيئاً
على الحائط، وكأنها تستسلم لحالة
الإرهاق التي أصابتها فجأة. قدماها لم
تعد تقوى على حملها بعد تلك اللحظات
المتوترة والمضطربة. تراجع كل شيء
حولها، حتى الزمن بدا وكأنه توقف
للحظة.

لَكْن فِي تِلْكَ الْحَظْةِ، أَحْسَتْ بِشَخْصٍ
يُمْسِكُ بِذِرْاعِهَا بِرْفَقٍ، وَكَانَ يَذَّا غَيْرَ
مَرْئِيَّةٍ كَانَتْ تَسْبِحُ بِهَا مِنْ أَعْمَاقِ غَضْبِهَا.
سَمِعَتْ صَوْتَهُ وَكَانَهُ صَدِىْ بَعِيدٍ يَتَرَدَّدُ
فِي أَذْنِيهَا، يَقُولُ بِلَطْفٍ:

- "أَيْتَهَا السَّيْدَةُ الصَّغِيرَةُ، أَأَنْتِ بِخَيْرٍ؟"

كَانَتِ الْكَلْمَاتُ تَتَسْرُّبُ إِلَى ذَهْنِهَا وَكَانَهَا
تَلَامِسُ جَرَحاً عَمِيقاً لَمْ تَكْتُشِفْهُ بَعْدَ.
حَاوَلَتْ أَنْ تَعِيدَ التَّرْكِيزَ عَلَى الصَّوْتِ،
لَكِنَّهَا كَانَتْ مَشْوَشَةً، وَهَا هِيَ تَغِيبُ عَنْ
وَعِيهَا.

فِي مَنْزِلِ عَصْرِيِّ جَمِيلٍ وَرَاقِيِّ، وَفِي
غُرْفَةٍ كَبِيرَةٍ وَوَاسِعَةٍ ذَاتِ تَصْمِيمٍ بَسيِطٍ
وَأَنيِقٍ، تَفْتَحُ غَيْلِسُ عَيْنَاهَا بِبَطْءٍ،
مَحَاوِلَةً لِاستِعادَةِ الْوَعْيِ. لَكِنْ سَرْعَانَ مَا

سيطر عليها شعور بالارتباك والضياع، فقد كانت لا تذكر كيف وصلت إلى هنا أو أين هي بالضبط. كانت الغرفة هادئة جدًا، الأثاث مرتب بعناية والألوان متناسقة بطريقة تمنح الشعور بالراحة، لكن كل شيء بدا غريبًا بالنسبة لها، وكأنها في مكان لا تعرفه.

جلست على السرير لبضع لحظات، تحاول أن تعيد ترتيب أفكارها، وتحث في ذاكرتها عن أي دليل يوضح كيف انتهت هنا. أسئلتها تتزايد في رأسها، لكن الإجابة الوحيدة كانت الصمت.

مدت يدها إلى رأسها، وملامح وجهها تتغير بين الارتباك والتساؤل. ماذا حدث

لها؟ كيف دخلت هذا المكان؟ وبماذا
يجب أن تفعل؟

وفي تلك اللحظات، جاءها صوت طرقات خفيفة على باب الغرفة، كأن الطارق لا يريد إزعاجها لكنه في ذات الوقت يعلن عن وجوده. شعرت غيلس بتوتر مفاجئ، فركّزت نظرها في اتجاه الباب، محاولة أن تميز ملامح من يقف خلفه وسط العتمة. لكن الظلال والظلم لم يسعفها بشيء، كل ما استطاعت إدراكه

هو أن قابها أبداً ينبع بسرعة، حتى
كادت تسمع دقاته تترادد في أذنيها.
ترددت لحظة، تفكّر في أن تسأله:
- "من الطارق؟"

لكن الكلمات علقت في حلتها، وكأن
خوفاً غير مبرر قيد صوتها. قبل أن
تتخذ قرارها، سمعت صوت المقهى ببعض
وهو يتحرك ببطء إلى الأسفل. تجمدت
في مكانها، تراقب الباب وهو ينفتح على
مهل، وكأن من خلفه يخشى أن يُكشف
أمره.

الهواء البارد القادر من الممر تسلل إلى
داخل الغرفة، مما زاد من إحساسها بعدم
الأمان.

لم تستطع التمييز بعد من الطارق، لكن إحساساً غريباً بدأ يتماكيها... ترى، هل عليها الانتظار؟ أم النهوض والمواجهة؟

اقتحم الغرفة ذلك الجسم الضخم، يرتدي ملابس منزلية مريحة، فرفعت غليس نظرها بسرعة، وقد ارتسمت على وجهها ملامح المفاجأة. نعم، إنه دانيال كيرن، الشرطي الذي أوقفها في الحي الشعبي. لكنها لم تتوقع أن تراه هنا، بهذه الهيئة، وبهذا الدوء الذي لا يتناسب مع صورته الأولى في ذهنها.

كان يحمل صينية طعام بين يديه، وتقديم نحوها بخطوات واثقة. نظر إليها بابتسمة جانبية وهو يقول بنبرة غير مبالغة:

- "هل استيقظت أخيرا؟!"

لم تجده غليس، فقد كانت لا تزال تحاول استيعاب الموقف.

تابع دانيال، وهو يضع الصينية على الطاولة بجانب السرير:

- "أتامين دائمًا كل هذا الوقت؟ لقد طال نومك، كنت أفكّر في إيقاظك، لكن قلت لنفسي ربما تحتاجين للراحة."

ضحك ضحكة خفيفة، لكنها لم ترد. كانت تتبعه فقط بنظراتها، محاولة أن تستشف منتصر فاته أي إجابة على الأسئلة التي تدور في رأسها. لماذا هي هنا؟ ولماذا هو من يعتني بها؟ وما الذي حدث بعد أن فقدت وعيها؟

كان دانيال يفتح ستائر الغرفة بهدوء، مما سمح للضوء المتلألئ بالتسลل إلى الداخل، كاشفاً عن إطلالة ساحرة، بحر واسع، وجسر معلق يمتد كأنه يعانيق السماء، ومبانٍ عالية تزينها أنوار لا تعد ولا تحصى، وكأن الليل قد تحول إلى نهار.

لكن غليس لم تهتم بكل ذلك، فبمجرد أن أدركت وضعها، نهضت بسرعة من على السرير واتجهت نحوه بخطوات سريعة، وعيتها تضيقان بغضب مكبوت. كانت تتبعه بنظراتها الحادة وهي تقول بالهجة متوترة:

"أخبرني ماذا حصل لي؟! لماذا أنا هنا؟!"
"لماذا جلبتني؟!"

لكن دانيال لم يرد. ظل واقفاً بهدوء، ينظر إلى المشهد خارج النافذة، وكان كلماتها لمتصل إليه.

اشتعل غضب غليس أكثر، فتوقفت في مكانها، قبضتاها مشدودتان إلى جانبيها، ثم صاحت بصوت شبه عالي:

"أنا أتكلم معك أيها الشرطي المغرور! أين سيارتي؟ ولماذا أنا هنا لهذا الوقت؟!"

عندما فوجئ، استدار دانيال ببطء، عادا حاجبيه وكأنه يفك رفيما س يقوله، ثم تهد قائلاً بصوت هادئ لكن يحمل نبرة جادة:

"جلسي أولاً، ثم ستحصلين على إجاباتك."

أجواء من التوتر والغموض مع لمسة
دافئة

ألقت غليس بجسدها بغضب على الأريكة
الموضوعة أمام تلك الإطلالة المذهلة،
ثم قالت بحدة:

"جلست، هي أخبرني!"

رفع دانيال حاجبه بإصرار وأجاب
بهدوء:

"كلي أولا."

رمقته بنظرة حادة، لم تكن لتسسلم
بسهولة، لكن دانيال أدرك أنه لا جدوى
من الجدال، فقرر أن يتحدث. جلس
أمامها على الأريكة المقابلة، مسترخيًا،
وكانه لا يغير اهتمامًا لتوترها، ثم قال
بنبرة ثابتة:

- "عندما رأيتك سيارتك، بقيت أراقبك.
كنت أعلم أنك جديدة هنا، وربما
تحتاجين إلى شيء ما. لكن الأهم..."
توقف لحظة، ثم تابع بنبرة أكثر جدية

- "هذه المنطقة مشبوهة، لذلك شركت
في أمرك."

قطبت غليس حاجبيها وقالت بحدة:
- "وهل أبدولك كواحدة من أولئك
الأشخاص حتى تشأ بي؟!"

- "اصمتني."

قالها بمنبرة صارمة جعلتها تتوقف
للحظة، ثم تابع ببرود:

- "الذين يأتون إلى هنا غالباً ما يكونون
من الطبقات الغنية، وأنتِ تبدين كذلك."

ارتبت غليس، وصوتها انخفض رغمًا

عنها:

- "لكني... لست كذلك."

نظر إليها دانيال مطولاً، وكأنها قالت

شيئاً أثراً اهتمامه. لكنه فجأة انقض من

مكانه وقال بحزم:

- "لقد تراجعت عن قراري، لن أتحدث

أكثر."

استدار ليغادر، لكن غليس قفزت من

مكانها وأمسكت بذراعه بسرعة:

- "انتظر!"

غليس طفلة الظل

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني



تلاقت عيناهما للحظة طويلة. كان نظره بارداً، لكنها رأت فيه شيئاً أعمق، شيئاً لم تفهمه بعد. شعرت بحرارة يديها تلتف حول ذراعيه، فأبعدتها فوراً، ثم رفعت يدها بإشارة صغيرة تدل على أنها لان تقاطعه مجدداً.

جلس دانيال باستسلام، وأكملت غليس جلوسها بجنبه، تضم نفسها بإحكام، تحاول أن تتمالك أعصابها.

أخذ نفساً عميقاً وأكمل حديثه:

-"بعد أن قررت متابعتك، رأيتُكِ تجلسين أمام ذلك العجوز، ثم تنهضين بغضب لم أفهم سببه. بعدها، ركضتِ إلى أحد الأروقة الضيقة وأخذتِ تلتقطين أنفاسك بصعوبة. لم أكن لأتدخل... لكن عندما

رأيتكِ تذهبين وتسقطين أرضاً، لم
أستطيع التراجع."

شعرت غليس بانقباض في صدرها،
لأنها لم تقل شيئاً، فقط استمرت في
الاستماع.

"هرولت نحوك، حاولت إيقاظك، لكنكِ
لم تستجببي حتى لصفعاتي الخفيفة."

قال ذلك بابتسامة خفيفة عندما رأها
ترفع يدها إلى خدتها وكأنها تتحقق مما
فعله.

"اضطررت إلى حملك إلى سيارتي،
وجئت بك إلى منزلي. استدعيت طبيباً،
فحصل وأخبرني أن نسبة السكر لديك
انخفضت كثيراً لأنك لم تأكلي شيئاً منذ
الصبح. علق لك محاليل، وعندما

انتهى، غادر وأوصاني بأن أحرص على
تغذيتك جيداً."

وقف دانيال واتجه نحو الطاولة، ثم
التف إليها وهو يقول:

"كُدت أنسى، خرجت أثناء نومي
وجلبت لك هذه الأدوية. عليك تناولها
بعد العشاء. أما سيارتاك، فهي في
المرآب."

نهضت غليس فجأة، التوتر ظاهر في
ملامحها، وقالت بتلعثم:

"سأذهب... أين معطفي؟ أين حذائي؟"
أخذت تبحث في أرجاء الغرفة بجنون،
وهي تتمتم:

"جدتي ستقتناني!"

لَكْن قَبْلَ أَنْ تَتْجُهِ إِلَى الْبَابِ، أَمْسَكَ

دَانِيَا لَبَذْرَاعِهَا وَأَوْفَقَهَا قَائِلاً بِحَزْمٍ:

- "لَنْ تَذَهَّبِي إِلَى أَيِّ مَكَانٍ الْأَيَّلَةَ،

سَتَنَامِينَ هَنَا."

حَدَقَتْ فِيهِ بِغَضْبٍ:

- "عَنْ أَيِّ نَوْمٍ تَتَحَدَّثُ؟! قَلْتَ لَكَ، جَدِّتِي

سَتَقْتَلَنِي! لَقَدْ وَعَدْتُهَا أَنِّي سَأَعُودُ

بَاكِراً!"

قَاطَعَهَا بِبِرْوَدٍ:

- "اَتَصَلَّتُ بِهَا وَأَخْبَرْتُهَا أَنِّي وَجَدْتُ عَمَلاً

وَسْتَقْضِيَنِي الْأَيَّلَةَ هَنَا لِإِكْمَالِ بَعْضِ

الْإِجْرَاءَتِ."

تَجْمَدَتْ غَلِيسُ مَكَانِهَا، حَدَقَتْ فِيهِ

بِصَدْمَةٍ، ثُمَّ قَالَتْ بِغَضْبٍ:

- "لماذا قلت ذلك؟! هل أنت غبي؟! كيف تقول لها شيئاً كهذا وأنا لم أجد عملاً أصلاً؟!"

جلست بغضب على السرير، وضغطت رأسها بين كفيها، تحاول استيعاب ما يحدث.

ابتسم دانيال ابتسامة جانبية ثم قال بهدوء:

- "لذا وجدت عملاً."

رفعت رأسها بسرعة ونظرت إليه بدهشة:

- "ماذا؟!"

- "رأيت الورقة التي كانت في جيبك، وتواصلتُ مع المكان. تحدثتُ معهم، وقبلوا تشغيلك."

لم تستطع غليس تصديق ما تسمعه، ثم
قفزت فجأة من مكانها، وعانتها بحماسة
قائلة:

- "حقاً؟! أوجدت لي عملاً؟!"
وقف متصلباً، لم يرد العناق، فقط ترك
ذراعيه معلقتين في الهواء، ونظر إليها
بهشاشة، ثم ابتسم بهدوء. أدركت غليس
ما فعلته، فتراجع بسرعة، وقالت وهي

تحاول تغيير الموضوع:

- "لكن... عن أي ورقة تتحدث؟"

أجاب دانيال:

- "الورقة التي كتب عليها 'مقهى ومطعم
السر'."

شعرت غليس بالارتباك، لم تذكر شيئاً كهذا، لكنها لم تبين ذلك وقالت متظاهرة بالذكر:

- "آه، نعم، نعم، تذكرت! شكرًا لك"
نظر إليها بنظرة مشككة، لكنه لم يعلق،
بل قال فقط:

- "العفو، الآن يمكنني تناول عشائري وأخذ
دوائي، ثم الخالود إلى النوم. تصبحين
على خير."

نظرت غليس إلى صينية الطعام
الموضوعة بجانب السرير، ثم زفرت
بضيق وهي تتمتم:

- "وكأنني بحاجة لمشكلة أخرى... حتى
معدتي تتآمر ضدي."

اقربت من الطاولة وجلست على الكرسي المقابل لها، رفعت الغطاء عن الطعام، فرائحة الحساء الدافئ وبعض الأطباق الجانبية جعلتها تدرك كم كانت جائعة.

لكن عقلها كان مشوشًا، رغم أن جسدها يحتاج للطعام، إلا أن فكرة واحدة ظلت

تسيد عليها:

"يجب أن أجد حلاً لإبعاده... لا يجب أن يبقى بجواري هكذا. سيشعر بكل شيء، وهو شرطي... لا يجب أن يعرف."

أمسكت الملعقة بين أصابعها، غرستها في الحساء، ثم توقفت. حدقت في الطاولة للحظات، وكأنها تبحث عن خيط يقودها لحل وسط.

-"لکنہ لیس مجرد شرطی..."

ذكرت كيف حملها إلى هنا، كيف اعتدى بها دون أن يسأل كثيراً. ومع ذلك، لم يكن من النوع الذي يثق بسهولة، تماماً كما هي.

شعرت ببرودة تسري في جسدها رغم الجو الدافئ في الغرفة، ثم حركت الملعقة بين أصابعها وبدأت بتناول الطعام على ممض.

لڪن فڪرة واحده كانت تڪرر نفسها في عقلها كجرس إنذار:

-"إن بقي بالقرب مني أكثر... فسوف
يكتشف كل شيء."

في الغرفة المجاورة، كان دانيال مستلقياً على سريره، يحدق في السقف بعينين

شاردين، بينما يلقي ضوء المصباح
الخافت ظلالاً مرتعشة على الجدران.
أصوات المدينة الخافتة تتسلل عبر
النافذة، لكنها لا تشوّش على الضجيج
ال حقيقي الذي يدور في ذهنه... غليس.

من تكون حقاً؟ كيف تبدو عليها علامات
الثراء بينما تذكر ذلك تماماً؟ الطريقة
التي تتحدث بها، ثقتها الزائدة، نظرتها
التي تحمل شيئاً مألفاً... وكأنني
أعرفها. لكن من أين؟ هل التقينا من
قبل؟

شعور غريب يزحف إلى داخلي، مزيج
من الحذر والانجذاب، وكأن هناك خيطاً
غير مرئي يربطني بها. لا أفهمه، ولا
أريد أن أفهمه. لكن هناك شيء واحد

متأكد منه... هذه الفتاة ليست كما تدعى.

* * *

في صباح اليوم التالي
فتح دانيال باب غرفته، وهو بكامل
أناقته، يمشي بخطوات ثابتة في ذلك
الرواق الطويل، حتى وقف أمام الغرفة
التي خص بها لغليس. طرق الباب عدة
مرات، لكن لم تأت به أي استجابة. توقف
لبرهة، ينتابه شعور غريب لم يفهمه
حتى الآن — قلق؟ توتر؟ أم مشيء آخر
أعمق؟

بلا تردد، أدار المقاييس بسرعة، فتح الباب واندفع إلى الداخل. كل شيء كان في مكانه، مرتبًاً بعناية، السرير

مفتوحة، وأشعة الصباح تتسلل عبر الزجاج، لكنها لم تكن هناك.

أين غليس؟

شعر بوخزة في صدره، لم يشا أن يتوقف للتفكير، بل خرج مسرعاً، يهرول نزولاً على الدرج. أنفاسه تتسارع مع كل خطوة، حتى دخل المطبخ وهو يلهث، نادى بقلق:

"أمي، أين غي....."

لأنه تجمد في مكانه، عيناه تتسعان بدهشة. هناك، عند طاولة الفطور، كانت غليس جالسة بهدوء، تتناول طعامها برفقة والدته، وكأنها لم تكن قبل لحظات مفجوعة. رفعت نظرها إليه بابتسامة

خفيفة، بينما والدته نظرت إليه باستغراب.

لماذا يشعر أن الأمور ليست كما تبدو؟

-"صباح الخير يا ولدي، تفضل وتناول الفطور معنا، كنا في انتظارك."

قالتها والدته بصوت دافئ، فيما كانت عيناهَا تأملان دانيال بنظرة تحمل أكثر مما يبدو على السطح.

تقى دم بخط وات واثقة، محاولاً إخفاء اضطرابه مما حدث قبل لحظات. قبل جبين والدته، ثم جلس على الكرسي المجاور لها.

لكن نظراته لم تفارق غليس، التي كانت تتناول فطورها بهدوء، وكأنها لم تكن قبل دقائق محظ قلقه.

شعرت والدته بضوئه الخفي، فابتسمت وهي تقول:

- "لقد سمعت ضجيجاً في المطبخ الليلة الماضية، وعندما نزلت، تصادفت مع هذه الحورية."

رفعت غليس نظرها إليه، وابتسمت بحشمة، بينما هو، للحظة، وجده نفسه مشدوداً إلى تلك الابتسامة الغامضة.

ثم جاء السؤال الذي لم يكن يتوقعه:

- "لم تخبرني أنها جميلة إلى هذا الحد، يا صغيري. أهي حبيبك؟"

اختنقت غليس على الفور، حتى كادت تشرق بالطعام. سعلت بعنف، واندفع دانيال نحوها بسرعة، يقدم لها كوب

الماء، وهو يرثت على ظهرها، محاولاً كتم ضحكته.

بعد أن هدأت قليلاً، سألها بنبرة مازحة:

-"هل أنتِ بخير؟"

ثم التفت إلى والدته قائلاً بجدية مصطنعة:

-"لقد أخبرتكِ يا أمي، إنها مجرد ضيفة هنا."

لكن غليس، التي كانت ماتزال متاثرة بما حصل، سارعت بالمقاطعة، وكأنها بحاجة للهرب:

-"نعم، نعم، أنا كذلك! كما أنني سأذهب الآن."

نهضت سريعاً، وغادرت المطبخ دون أن تنظر خلفها.

دانيال، وهو يراقبها تبتعد، زفر بخفة
قبل أن ياتفـت إلى والدته، التي كانت
تحدق به بابتسامة ذات معنى.

- "أعجبكـ هذا، أليس كذلك، يا أمي؟"
لم تنتظر منه إجابة، فقط ابتسـمت بمـكر،
بينما كان هو ينهض، يلحق بـغليس.

- "إلى أين؟"
قالـها دانيـال وهو يتـكـئ على الجـدار،
عاقدـا ذراعـيه، بينما يراقب غـليس وهي
ترتـدي حـذاءـها. نظرـاته كانت تحـمل
مزيجـا من الفـضـول والتـسـلـية، لكن صـوـته
بدـا مـحـايـدا.

أنـهـت ارتـداء حـذائـها، ثم رـفـعت رـأسـها
لتـنـظـر إـلـيـه مـباـشـرة قـبـلـ أنـ تـجـيبـ:

"سأذهب إلى عملي، لأرى ما على فعله"

هناك، ثم سأزور جدتي لاقناعها."

"بماذا؟"

-"بأن تأتي للعيش معي هنا، بالقرب من
عملي. لعلها تقنع أو ترضى."

رفع دانيال حاجبيه قليلاً، قبل أن يرد
بنبرة تحمل بعض الشك:

-"هل أنتِ جادة؟ الاستئجار هنا ليس
بالأمر السهل، لن تجدي شقة بهذه
البساطة."

أومأت غيلس برأسها وهي تزفر بخفة:

-"أعلم ذلك، لكن هذا ليس ما أخشاه. ما
يقلقني حقاً هو أن ترفض المجيء معي
 تماماً... أو أن ترفض حتى فكرة أن
أعيش وحدي."

ثم أضافت، وكأنها تتحدث مع نفسها:

-"لكنني سأحاول، لن أخسر شيئاً."

ساد الصمت للحظة، لم يكن صمتاً عاديًّا، بل ذلك النوع الذي يحمل بين طياته كلمات لم تُنطق. كانت غليس مشغولة بارتداء معطفها، وحين انتهت، التفتت نحو دانيال قائلة بصوت هادئ:

-"شكراً لك على كل شيء."

أجابها دون تردد، ناظراً إليها بنظرة حميدة:

-"لا شكر على واجب، أي شخص مكاني كان سيفعل ذلك."

رمقته بابتسامة لم تدم طويلاً، ثم استدارت نحو الباب وفتحته. خرجا معاً،

كانت سيارتها تقف أمام البوابة، وقد
رکنها أحد الحراس بأمر من والدة
Daniyal. توقفت لوهلة قبل أن تفتح الباب،
نظرت إلى المنزل الفخم من الخارج،
تأملت بعيون تحملان أفكاراً لم تصرح
بها، ثم حولت بصرها إلى Daniyal، الذي
كان يقف بجانبها بصمت.

ترددت قليلاً، ثم نطقت بنبرة شبه
هامة:

- "هل أخبرك بشيء؟"

نظر إلیهَا دانیال بفضلِ الله، حاجباه
پرتفعان قلیلاً:

- ما هو؟ "

ابتسمت بخفة، ثم قالت دون أن تحيي
بنظرها عنه:

"سأكون أكثر سعادة إن لم تأتي معي."

ضحك بخفة، لكن عينيه لم تعكسا خفة
كلماتها. كان هناك شيء أعمق خلف
تلك الجملة، شيء لم يستطع دانيال
فهمه تماماً.

راقبها بصمت، رفع حاجبيه متظاهراً
باللامبالاة، لكنه شعر بوخزة غريبة في
داخله. هل كانت تمزح؟ أم أن في
كلماتها معنى آخر لم يدركه بعد؟
لم تمنحه الفرصة للاتفكيير طويلاً، فقد
أدانت وجهها، اسْتَقلَّت سُياراتها،
وأغلقت الباب بهدوء.

بقي دانيال واقفاً، يراقبها وهي تنطلق بعيداً، بينما تساولات كثيرة بدأ تتسدل إلى ذهنه، دون أي إجابة واضحة.

في المساء، رن جرس باب منزل الجدة، كان يرن بقوة وبرنات متتابعة جعلت العجوز تستفيق من نومها العميق.

اتجهت بسرعة نحو الأسفل، مهرولة، على أمل أن تلحق به قبل أن ينقطع صوته المزعج. كانت تفكر في نفسها: من هذا المعتوه الذي يرن هكذا؟ ثم فتحت الباب.

- "أنا أتبيبيت!"

قالتها غليس بفرح وبعض الفكاهة.

ردت الجدة بلهجة غير مبالية:

- "هذا أنت؟"

أضافت غيلس مداعية الحزن:

- "ألم تشتافي لي؟"

رفعت الجدة حاجبها، أعطتها ظهرها

وقالت ببرود:

- "من متى؟"

عاد وجه غيلس إلى الجمود، ثم قالت

وهي تغلق الباب خلفها:

- "ظننت أنه قد تغير شيء."

- "وعلى أي أساس؟" قالت الجدة بهجة

ساخرة.

أجابت غيلس بنبرة هادئة، ولكنها تحمل

نوعاً من الاستفهام:

- "لا أعلم... ظننت أن يكون هناك القليل

من الحب لحفيتك بين كل ذلك الحقد."

نظرت الجدة إليها الحظة، ثم جلسَتْ على أريكة الصالة. كان في عينيها شيء من الاستفهام.

-"ماذا فعلتِ هناك؟ هل حلية كل أمورك؟"

هرولت غليس نحو الأريكة، وكأنها تتظر أن تفتح الجدة الموضوع، وجلسَتْ على حافة الأريكة، ثم بدأت في سرد ما فعلته منذ ذهابها، واليوم يا جدتي ذهبت صباحاً إلى العمل قبل أن آتي إلى هنا، لكنهم قالوا إنني سأبدأ العمل في الأسبوع القادم.

قالت غليس ذلك بينما كانت عيناهَا تراقبان رد فعل الجدة، كأنها تخشى أن

تفتش في تفاصيل ما لا ترغب في الحديث عنه.

وبما أن الجدة لم تسأل عن دانيال، فلم يكن هناك داعٍ لأن تخبرها بأي شيء عنه. لم تذكر لها مامن هو، ولا عن مهنته، ولا حتى عن الليلة التي قضتها في منزله. كان ذلك سرًا حافظت عليه، حرصاً على عدم تعريض نفسها لحكم قاسي من الجدة، التي قد لا تفهم الوضع جيداً.

- "أوه دانيال... لو تعزم كم ساعدتني بهذا."

فكرت غليس بينما كانت تراقب الجدة، وكل شيء حولها يبدو كأنه يحمل عبئاً

من الأسرار التي تكاد تتلاطم منها مع كل لحظة.

كانت تلك اللحظات التي قضتها مع دانيال تظل في ذهنه كملاذ آمن وسط الفوضى التي كانت تحيط بها، ولكنها كانت تفضل الاحتفاظ بها لنفسها.

مرت الأيام، وكانت غليس تجد نفسها وجدتها على حالهما المعتاد؛ يرمون بعضهم بالكلمات الثقيلة، كلمات تحمل معانٍ عميقة يعرفها فقط من يعيش بين جدران هذا المنزل. كانت العلاقة بينهما معقدة، مأبئة بالتوترات والتحديات، لكن شيئاً في قلب غليس كان يزداد كلما مر الوقت، كما لو كانت تلك الكلمات الثقيلة تنغرز في أعماقها أكثر فأكثر.

وفي اليوم الذي يسبق سفر غيلس إلى عملها، وبينما كانت تحضر أغراضها استعداداً للرحلة، رن جرس الباب فجأة. في العادة، لم تكن تبالي غيلس كثيراً بفتح الباب؛ كانت الجدة دائمًا في الأسفل وتقوم بذلك بنفسها، ولكن في تلك اللحظة، كان هناك شيء غريب.

شيء جعلها تضع ما في يديها وترکض إلى الأسفل، تسبق جدتها وકأن شيئاً ما كان يدفعها نحو ذلك الباب، وكأنها كانت تنتظر شخصاً ما أو لحظة معينة.

كانت قد شعرت بشيء غير مفسر، شعور غريب في أعماقها، كأن الباب سيحمل له شيئاً مهماً.

فتحت غليس الباب بسرعة حتى انفتح

على مصراعيه، وقالت بتفاجؤ:

"دانيل!"

أجاب بصوته الهادئ:

"هذا أنا."

ثم مد يده إليها بالورود، مقدماً إياها لها

برقة، ليتمكن من أن تلتقطها.

لكن غليس، التي كانت في حالة صدمة،

بقيت على حالها. عيونها واسعة من

الدهشة، لم ترمش حتى، كما لو كانت

غير قادرة على استيعاب ما يحدث

أمامها. كانت الحيرة تغمرها، ولم

تستطع قول أي شيء.

لكن فجأة، وبصوت حاد من المطبخ،

سمعت جدتها تصرخ:

- "غليس!"

هذا الصوت كان كفياً بياقاظها من صدمتها. التفت سريعاً إلى دانيال، ثم امسكت بالورود التي كانت بيده، محاولة استعادة توازنها.

نظرت إلى الجدة، وعيانها ما زالت تحمل علامات الاستفهام والدهشة، ثم قالت وهي تحاول الحفاظ على هدوئها:

- "إنه صديقي يا جدتي، سندخل إلى غرفتي."

على الرغم من أن كلماتها كانت هادئة، إلا أن صوتها كان يحمل توبراً واضحاً، وكأنها تشعر بأنها تخوض معركة صغيرة، تحاول أن تشرح كل شيء في لحظة واحدة.

اللحظة كانت مشحونة بالتوتر والخوف، وكانت غليس تتصرف بحذر غير معتاد. كان عقلها يسرع محاولاً إيجاد مخرج من الموقف المحرج الذي تجد نفسها فيه، لكن قلبها كان يملؤه شيء آخر.

- "لما أتيت إلى هنا؟"

قالتها غليس، وهي تمشي ذهاباً وإياباً بتوتر واضح.

أجاب دانيال بهدوء، لكن غليس كانت قد فقدت القدرة على التفكير بشكل منطقي.

- "أتىت لأراك فقد..."

لكنها قاطعته فجأة، بنبرة حادة:

- "لماذا؟ على أي أساس؟"

لم تكن غليس تعني ما تقول، لكنها كانت تغافل مخاوفها بكلمات قوية. كان

الخوف من مواجهة الحقيقة، والخوف
من أن يكون كل شيء قد بدأ يخرج عن
السيطرة، هو ما يسيطر عليها.

وقف دانيال وقال، وقد علت نبرة صوته
قليلًا،

-"لم تتبادل أرقام هواتفنا... كما أنه
ذهبت ولم تتصل لي حتى من عند جدتك.

السبب الذي جعلني آتي هنا هو أنني..."

ثم توقف قليلاً وأضاف

-"اشتقت إليك."

نظرت غليس إليه بدهشة، محاولة
التخلص من وقع الكلمات في قلبها،
لكنه لم تجد حلاً سوي الهروب. فقالت

بسرعة:

-"وكيف عرفت عنوان منزلي؟"

ولكن في تلك اللحظة، رأت غليس مق بض الباب يدور ببطء، وعرفت في الحال أنجذتها قد اقتربت لتستمع لما يدور في الداخل. كان قلبها ينبعض بسرعة أكبر.

قال دانيال مبتسمًا:

"ـ وهل يخفى هذا عن...ـ"

لكن غليس لم تنتظر أن يكمل كلامه، بل شعرت بشيء يجذبها إلى دانيال، فأسرعت وتعلقت برقبته، وقبلاته وهي تقول:

"ـ وأنا إشتقت إليكـ."

كانت تلك لحظة تهربها من الواقع، كانت تقاطع كلامه خوفاً من أن ينطق بكلمة "شرطي" ويسمعها أحد من الخارج،

وتعلم أن جدتها خلف الباب، قد تسمع كل شيء.

- "ماذا لو اكتشفت الجدة الحقيقة؟"

كان هذا السؤال في ذهن غليس، لكن للحظة، كان كل ما تريده هو إخفاء هذا الخوف واحتضان اللحظة التي كانت فيها مع دانيال.

اندهش دانيال من هذا التغيير المفاجئ في غليس. كانت غاضبة منه قبل لحظات، والآن، وجد نفسه في لحظة من القرب والحميمية لم يكن يتوقعها. لكنه، على الرغم من صدمته، لم يستطع إنكار شعوره بالراحة أيضًا. لم تكن تلك اللحظة مجرد تقارب عابر، بل كانت تحمل شيئاً أعمق من ذلك، شيئاً كان

يُعبر عن حاجته إلى غليس بشكل لم يكن قد يدركه من قبل.

نظر كلاهما إلى بعضهما البعض في صمت، ثم أمسكت غيلس بيديه برفق ووضعتها خلف ظهرها، ثم وضعت رأسها بالقرب من أذنه، كأنها تحاول أن تتحتضنه من خلال تلك الحركة. همست في أذنه بنبرة منخفضة:

انصردم دانيال، فقد صدق لحظة أن مشاعرها كانت حقيقة. كانت كلماتها تحمل خوفاً وحدراً، ولكنه شعر في ذات الوقت بأنها تعني ما تقول.

وفي تلك اللحظة، فتح الباب فجأة، وإذا بالجدة تدخل في الوقت الذي كان فيه الموقف في غاية الدرج. لكن رد فعل دانيال كان سريعاً، فدفع غليس برفق حتى سقطت جالسة على السرير خلفها. كانت غليس مصدومة من فعلته، حيث اعتقدت لحظة أن دانيال قد غضب منها، لكن سرعان ما أدركت أنه فعل ذلك لحمايتها.

قبل أن تستوعب ما ححدث بالكامل، شعر دانيال بالقلق على مشاعرها، فمال بجسمه نحوها ووقف في مستواها، ثم قبّلها هو الآخر، ليخفى من حولهم أي نوع من التوتر أو الحيرة قد يطرأ.

كانت تلك اللحظة مشحونة بالتعقيد والمشاعر المتضاربة، حيث كان كل منها يحاول أن يحمي الآخر، ولكن في نفس الوقت، كانا يغرقان في لحظات الحقيقة التي لا يمكن الفرار منها.

مثلت غليس التفاجئة دوم جذتها، فدفعت دانيال بعيداً عنها بسرعة، ثم قامت واقفة بسرعة مدعية الخجل. نظرت إلى الأرض للحظة، ثم رفعت عينيهما نحو الجدة محاولة قراءة ملامحها، لكن وجه العجوز كان جامداً، بلا أي تعبير واضح.

وقف دانيال بجانبها هو الآخر، لكن هذه المرة، ومن دون علم غليس، وضع ذراعه حول كتفها، كأنه يحاول تأكيده

شيء ما أمام الجدة. لم يكن تصرفه متعمداً فقط للتمثيل، بل كان هناك جزء منه يستمتع بهذا القرب، حتى لو لم يعترف بذلك لنفسه بعد.

قال بصوت هادئ لكنه واثق:

-"آسف على المنظر الذي وجدتنا عليه،
لكني افتقدتها كثيراً هذا الأسبوع."

كانت الجدة تنظر إليهما بسمت، غير مبالية بكلامه، مما جعل الجو أكثر توتراً. لكن دانيال لم يتوقف، بل أكمل بمرح، وهو يأخذ يد الجدة ويقبها باحترام:

-"لكني سعيد برؤيتها مجدداً."

ثم التفت إلى غليس بابتسامة وقال بصوت أكثر هدوءاً:

- "سأنتظرك في الأسفل، سنغادر معاً."

وبدون أن يضيف شيئاً آخر، خرج من الغرفة تاركاً غليس وجذتها في مواجهة بعضهما البعض، حيث كانت العجوز تنظر إليها نظرة يصعب تفسيرها...

نظرت غليس إلى جذتها نظرة خاطفة، وكأنها تخشى أن ترى في عينيها أسئلة لا تريدها مواجهتها، ثم اندفعت بسرعة خارج الغرفة، ضاربةً كتف جذتها دون قصد بسبب سرعتها.

- "انتظرني! سأنزل معك!"

نادت على دانيال، وكأنها تهرب من شيء لا تستطيع مواجهته.

لحقت به بسرعة وهو ينزل الدرج، ما زالت أنفاسها متتسارعة من التوتر.

وعندما اقتربت منه، قالت بحدة، محاولةً

إخفاء ارتباكها:

- "هل أنت مجنون؟!"

توقف دانيال لحظة في منتصف الدرج،

ثم التفت إليها بنظرة تساؤل ساخر،

وكأنها هي التي تتصرف بغرابة وليس

هو:

- "إذا أنا من أصبح المجنون الآن؟!"

أكمل نزوله بخطوات هادئة، وكأنه غير

مكتثر بما حدث، ثم وضع يديه في

جيوب سرواله وأضاف بنبرة جادة:

- "على كل... حسب ما فهمت، المكان

هنا ليس مريراً لك. سنتحدث عندما

نخرج، وهناك ستخبريني لم فعلت ذلك،

ولماذا قبّلتني فجأة، وما سبب هذا
الخوف كله من جدتك."

أحسّت غليس بوخزة قلق، لكنها لم ترد.
كل ما فعلته هو أن تابعت نزولها خلفه،
مدركة أن هذه المواجهة كانت قادمة لا
محالة، وأن الهروب لم يعد خياراً.

على طاولة الغداء، كان الجو مشحوناً
بالصمت. كل واحد منهم كان غارقاً في
أفكاره، خائفاً من أن يسأل سؤالاً قد
يفتح باباً لا يريد الخوض فيه. لكن، رغم
التوتر، مرّ الغداء دون أي تساؤل، وكان
الصمت كان اتفاقاً غير معلن بينهم.

أنهت غليس طعامها أولاً، ثم نهضت
بهدوء وصعدت إلى الأعلى، متتجاهلة
نظرات جدتها التي بدت وكأنها تريد قول

شيء لكنها امتنعت. في غرفتها، بدأت ترتدي ملابس الخروج، مستعدة للرحلة. لم تشعر بالقلق مما قد يقوله دانيال لجدها، فقد أدركت أنه فهم موقفها، ولن يفشي سرها.

في الأسف، كان دانيال لا يزال جالساً مع الجدة، يتبادل معها حديثاً مقتضباً بين الحين والآخر. لكنه لم يكن مرتاحاً، إذ كان يراقب عقارب الساعة، متظراً نزول غليس.

وبعد قليل، ظهرت عند أعلى الدرج، تجرّ حقيبتها الثقيلة، متصارعة مع وزنها على السلالم. شاهدتها دانيال وهي تحاول السيطرة عليها، لكن الحقيقة بدت وكأنها تقاومها أكثر مما تساعدها.

نهض فوراً من مكانه، واتجه نحوها بسرعة، ثم أمسك الحقيبة منها بسهولة وهو يقول بابتسامة خفيفة:

-"هل حان وقت ذهابنا؟"

نظرت إليه غليس وأومأت برأسها:

-"نعم، سذهب الآن. إنها الواحدة والعشرون دقيقة، والطريق يس تغرق ساعتين. يجب أن أصل قبل أن يغير صاحب الشقة رأيه."

ألقى دانيال نظرة سريعة على ساعته، ثم هز رأسه قائلاً:

-"حسناً، لنضيع المزيد من الوقت إذن، لا مشكلة إن غير رأيه، أليس كذلك؟"

قالها ببررة ساخرة ليخفف من توتر غليس، وكأنه يمازحها رغم معرفته

بأنهـا مـاتـ وـتـرـةـ وـمـسـ تعـجـلـةـ، اـبـتـسـمـتـ لـهـ
 غـيـلـسـ بـعـدـ فـهـمـتـ مـقـصـدـهـ مـنـ قـوـلـ ذـلـكـ
 وـسـارـاـ مـعـاـ نـحـوـ الـبـابـ، حـيـثـ كـانـتـ الجـدةـ
 تـرـاقـبـهـمـاـ بـصـمـتـ، دـوـنـ أـنـ تـفـصـحـ عـمـّـاـ
 يـدـورـ فـيـذـهـنـهاـ.

-"انتبه على حفيدي."

قالـهـاـ الجـدةـ، كـاسـرـةـ بـذـلـكـ صـمـتـهـاـ
 الطـوـيـلـ، بـنـبـرـةـ حـمـلـتـ أـكـثـرـ مـمـاـ ظـهـرـ
 مـنـهـاـ.

رفعـ دـانـيـالـ نـظـرـهـ إـلـيـهـاـ لـلـحـظـةـ، ثـمـ ردـ
 بـابـتسـامـةـ هـادـئـةـ لـكـنـ ذاتـ مـغـزـىـ:

-"لا تخافي عليها ما دامت معي."

لـكـنـ كـلـمـاتـهـ لـمـ تـكـنـ مجـرـدـ طـمـأـنـةـ، بلـ
 كـانـتـ رسـالـةـ خـفـيـةـ، وـكـانـهـ يـخـبـرـ الجـدةـ

أنها هي الخطر الحقيقى على حفياتها،
وليس أى شخص آخر.

خرجت غليس معه، دون أن تنظر إلى
جذتها، وكأنها تخشى أن ترى في
عينيها شيئاً يجعلها تتردد.

طوال الطريق، كان الصمت هو السيد
داخل السيارة. لم يكن صمتاً مريحاً، بل
ثقيلاً، محملأً بأفكار لم يُنطق بها.

غليس كانت تحدق عبر النافذة، تشاهد
الطريق يمرّ أمامها بسرعة، وكأنها
تهرب مع المشاهد المتحركة.

أما دانيال، فكان بين الحين والآخر يلقي
نظرة خاطفة نحوها، لكنه لم يقل شيئاً.

كان يعرف أن هناك شيئاً يشغل بها،
لكنه اختار أن يتركها تقرر متى تتحدث.

أما هي، فكان عقلاً لها في صراع مستمر:
هل تستتمر في الهروب من مواجهة
الحقيقة، أم أن الوقت قد حان لتخبره
سرّها... السرّ الذي لا يعلمه أحد غيرها
هي وجدتها.

وأخيراً... مفتاح شقتها.

تمتمت غليس بالكلمات، تدفق في
المفتاح بين أصابعها، إحساس غريب
بالانتصار يلامس صدرها. كانت هذه
لحظة صغيرة، لكنها تحمل معنى كبيراً
أول عمل، أول راتب، وأول مفتاح لشقة
تخصها وحدها.

أدخلت المفتاح في القفل، استمعت لصوت التكمة الصغيرة التي أعلنت بداية فصل جديد. دفعت الباب ببطء، ورائحة الغبار والأثاث القديم ملأت أنفها. دخلت، وتبعها دانيال، عينيه تراقبان المكان كما لو كان يحل كل زاوية فيه.

- "إنه مكان لا بأس به... هل ستكونين مرتاحتين هنا؟"

قال بصوت هادئ، لكنه يحمل نبرة تحليالية، وكأنه يختبر مشاعرها أكثر من كونه يسأل عن رأيها.

غليس تنهدت، تمرر يدها على الطاولة الخشبية المغبرة، ترفع مزهرية قديمة وتنفض عنها الغبار.

- "لم يسبق لي أن بـت وحدي في شقة خاصة بي... لكن لا شيء يصعب على غيلس نايت لي." صدمة دانيال.

وقع الاسم على مسامعه كصفعة غير متوقعة، كأن أحدهم سحب الأرض من تحته.

لحظة، لم يعد يرى الشقة ولا يسمع صوت غيلس، بل رأى شيئاً آخر... ذكرى، أو ربما كابوساً مستيقظاً.

عقله يصرخ، لكن شفتيه تظل صامتة. حدق بها للحظات، ثم شدّ على قبضته حتى كاد يسمع صوت عظامه تتوتر تحت الضغط. لم يبق لحظة أخرى

استدار، وخرج من الشقة بسرعة، خطواته الثقيلة تتردد في الممر قبل أن يخفت صداتها.

غليس، غير مدركة لما حادث خلفها، تابعت كلامها، تداعب حلمًا قدِيمًا طالما راودها:

-"أتعلم؟ كنت دائمًا أحلم بمنزل يكون ملكي... ومطعم يحمل لافتة كبيرة مكتوب عليها 'مطعم نايت لي'." ضحكت وهي تتتابع، تمسك المزهريّة بين يديها وتحدق فيها وكأنها ترى اللافتة أمامها.

-"نايت تعني الليل، وللي... فالمطعم لي! لكن أبي... أبي لم يكن يومًا مؤمنًا بي.

كان رجلاً أنانينا، لم يشجعني قط، بل كان يحبطني دائماً."

انتظرت ردًا. الصمت كان غريباً.

- "لم لا ترد يا دانيال؟"

التفت، لكن الفراغ كان جوابها الوحيد.
الباب كان مفتوحاً قليلاً، والهواء البارد يتسلل منه بخفة.

دانيال لم يعد هنا.

لم تفهم غليس سبب رحيل دانيال المفاجئ، لكنها لم تشا أن تعطي الأمر أكبر من حجمه. ربما تذكر أمراً مهماً... ربما أراد فقط بعض الهواء.

لكن الحقيقة أن دانيال كان قد غادر إلى قصر مهجور في نفس المنطقة.
وقف بجانب سيارته، يجلس فوق غطاء

المحرك، يعبّ نفساً عميقاً من سיגارته التي لم يلمسها منذ سنوات. الدخان يتلاشى في الهواء البارد، لكنه لا يشعر بأي دفء أو راحة.

عيناه معلقتان بالقصر أمامه، بنايته الضخمة غارقة في الظلام، نوافذه المحطمة تعكس أطياف الماضي.

- "لماذا أعود إلى هنا؟"

تمتم لنفسه، لكن الجواب كان واضحاً، لأن الماضي لا يموت، ولأنه ما زال يطارده.

قبل إحدى عشر عاماً..

كان دانيال طفلاً في السادسة عشر من عمره هادئاً، ذكيًّا أكثر مما ينبغي لسنه، يعيش في عالمه الصغير السعيد. والده،

فيكتور كيرن، كان كل شيء بالنسبة له رجل قوي، حازم، لكنه أب حزون لابنه الوحيد. كانت حياتهم مثالية: قصر فخم، أم تهتم بكل شيء، ووالد يدير شركة ضخمة.

لكن السعادة لم تدم.

انهار كل شيء في لحظة. في يوم واحد، خسر فيكتور شركته بسبب خيانة لا تغفر.

كان ملفاً واحداً، مجرد مستند، لكنه سُرق... وكان ذلك كافياً لاتهام إمبراطوريته. لم يقبل فيكتور بالأمر، ولم يكن من النوع الذي ينسى بسهولة. أربع سنوات أمضاها يبحث عن الخائن، يمشط كل زاوية، حتى وجده أخيراً.

ذلك اليوم...

كان دانيال في الحديقة، يلاعب حصانه الأبيض، عندما لاحظ ظلاً غريباً عند البوابة.

رفع رأسه، فرأى رجلاً يقف هناك رجل هزيل، ملابسه رثة، مظهره بائس، لكنه كان يحمل شيئاً آخر في عينيه... شيئاً جعل دانيا يتوقف عن اللعب، والأغرب من ذلك، أن فيكتور كيرن هو من استقبله بنفسه.

لم يكن ذلك من عادته أبداً.

صعد فيكتور مع ضيفه إلى الطابق العلوي، يتبادلان الضحكات، لكنها لم تكن حقيقة.

دانيال، رغم صغر سنه، كان قادراً على التمييز بين الضحكة الصادقة وتلك التي تُخفي وراءها شيئاً آخر. شيء لم يستطع تحديده بعد، لكنه شعر به يتسلل إلى صدره كبرودة غريبة. لم يكن والده يستقبل الضيوف بهذه الطريقة أبداً، ولم يكن من عادته طرد الحراس وإعطاؤهم عطلة مفاجئة.

بسرعة، توجه إلى غرفته، نزع ملابس الترويض، وارتدى أخرى أكثر راحية للحركة. لم يكن متأكداً مما يبحث عنه، لكنه عرف أنه بحاجة إلى إجابات.

أنا دانيال...

وقفت أمام باب مكتب أبي، كان موارباً، بالكاد يفصلني عن الغرفة. كان يجب أن

أبتعد، أن أتصرف كأي طفل عادي، لكن الشعور المزعج في داخلي لم يسمح لي بذلك. الصمت كان ثقيلاً، قبل أن يقطعه صوت الرجل الغريب، مرتجاً و مليئاً بالندم:

- "سامحني يا فيكتور... أنت تعلم بحالى، كما أن ذلك كان مغرىً جداً."

لم أفهم قصده، لكن صوت أبي جاء بعده، ليس كعادته، بل غاضباً بطريقة لم أسمعها من قبل:

- "سامحتك سابقاً على فعلتك ولم أنطق بكلمة... أمه من عاقبتك. لكن الان؟ الان أنا من سيعاقبك!"

أخذت نفساً عميقاً، التصقت أكثر بالحائط، وقلبي ينبض بقوة.

-"لا شيء في هذه الحياة يجعلك تسرق، حتى الفقر! كان عليك أن تأتي إليّ، لا أن تخونني وتسرق ملحف شركتي، أن تسقطني فقط لتلبى مصالحك! كم أنت رجل حقير... عن أي رجولة أتحدث؟ أنت لست رجلا أساساً! لو كنت رجلاً لما فعلت ما فعلته في الماضي... لما تبرأت منك أمك يا ريتشارد نايتلي!"

نايتلي...

الاسم كان مألوفاً، لكنه لم يترك لي وقتاً للتفكير. فجأة، دوى صوت حاد في الغرفة، صوت أعرفه، صوت سمعته في مكان واحد من قبل... كلية التحقيق الجنائي.

طلقة نارية.

تجمدت مكاني، ثم، مدفوعاً بقوة لا أدرك
 مصدرها، دفعت الباب بقوة ليرطم
 بالجدار.

عيني تجولت بسرعة في المشهد أمامي
 الرجل عند النافذة، جسده متاهب للفوز،
 بينما والدي ...

والدي ملقى على الأرض.

البقع الحمراء انتشرت على السجاد،
 على الجدران، على ملابسه. كانت
 فوضى من اللون القرمزي، ووسطها
 كان وجه أبي، ملامحه صامتة، عينيه
 مثبتة على السقف.

لم أستطع الحركة.

لم أستطع حتى التنفس.

كل شيء انهار في لحظة، حتى استفاقت
على يد قوية تسحبني بعيداً عن العتبة.
لم أكن بحاجة للنظر إلى الخلف لأعرف
من هم.
الشرط.

استفاق دانيال من شروده على دمعة
حقد ساخنة، انحدرت ببطء على وجهه،
تسالت إلى شاربه، ثم سقطت على
سיגارته، لتطفي جزءاً من جمرها
المتوهج.

حدق في الدخان المتلاشي أمامه، وكأن
شبح الماضي يبعث به من جديد،
وصدره يعلو وينخفض مع أنفاس ثقيلة
مشبعة بالغضب.

- "ها أنا قد وجدتك... بعد كل هذه السنين."

تم تم بالكلمات بصوت خافت لكنه مليء بالوعيد. ألقى بسيجارته بعيداً، ثم اندفع نحو سيارته، أغلق الباب بعنف، وأدار المحرك.

انطلقت السيارة كأنها تحمل داخله إعصاراً من الكراهيّة، من الحقد، من الرغبة في مواجهة ما ظل يطارده طوال حياته.

لقد حان الوقت.

قاد دانيال سيارته بسرعة نحو شقة غليس، وعيناه مثبتتان على الطريق، لكن عقله كان غارقاً في ظلام آخر. كان شعور الانتقام يتغذى على كل ذكرى

قديمة، على كل صرخة مدفونة في ذاكرته.

آل نايتلي... لن ينجو أحد منهم.

توقف أمام باب شقتها، ترجل بخطوات ثقيلة، وطرق الباب بقوة.

من الداخل، جاءه صوتها هادئًا، غير مدركة للخطر الذي يقف خلف الباب:

"من؟"

لم يجب مباشرة، بل ترك الكلمات تتسلل

ببطء، محملة بظل قاتم:

"شبح يريد الانتقام."

تعالت دقات قلبها فجأة. شيء ما في صوتها جعل الرعب يتسلب إلى أوصالها. ابتلعه ريقها بصعوبة، ثم

همست بصوت متواتر، مترددة كما لو
كانت تحاول استيعاب ما سمعت:

"ـقـ قلت لك ... مـ من؟"

جاءها الرد، هذه المرة أكثر وضوحاً،
لكن لم يقلل من توترها:

"ـ افتحي الباب، هذا أنا ... دانيال."

لحظة صمت قصيرة، ثم سمعت صوت
خطواتها تقترب. فتحت الباب بسرعة،
لكن بدلاً أن تتركه يدخل بهدوء، أمسكت
بذراعه وسحبته إلى الداخل بسرعة، قبل
أن تغلق الباب بإحكام خلفه.

رفع حاجبته مستغرباً. لم يكن هذا
تصرفاً المعتماد. نظر إلى وجهها، كانت
عيناهما متسعتين قليلاً، كما لو أن هناك
سرًا يطاردها.

- "ما بك؟"

سألها، يحاول فك شيفرة هذا القلق في ملامحها.

لأنه ألم تجرب مباشرةً. نظرت إليه للحظة، ثم فجأة... عانقته بشدةً.

شعر بجسدتها المضطرب، بأنفاسها السريعة، لكنه ألم تقل شيئاً. وكما بدأ العناق بشكل غير متوقع، انتهى سريعاً. ابتعدت عنه ببطء، وكأنها تداركت ما فعلته، ثم اتجهت نحو المطبخ قائلة بنبرة حاولت أن تبدو طبيعية:

- "كنت أحضر سلطة خضار للعشاء، لكنك محظوظ، لقد توقعت مجيئك، لذا حسبت حسابك."

تابعت وهي تضع الأطباق على الطاولة:

- "أرجو أن تعجب... أو يجب علىك ذلك، لأنني لا أجيد غيرها."

ضحكـت ضـحـكة صـفـيرـة، لـكـنـهـاـكـانـتـ هـشـةـ، وـكـاـنـهـاـتـحاـوـلـ أـنـ تـبـدـدـ الجـوـ المـشـحـونـ دونـ جـدـوـيـ.

أـمـاـ دـانـيـالـ، فـقـدـ وـقـفـ هـنـاكـ، يـرـاقـبـهـاـ بـصـمـتـ.

ماـ هـذـاـ الشـعـورـ الغـرـيبـ؟ـ أـهـوـ الـحـيـرـةـ؟ـ أـمـ
أـنـ غـضـبـهـ بـدـأـ يـتـزـعـزـعـ؟ـ لـمـ يـكـنـ هـذـاـ
جزـءـاـ مـنـ خـطـتـهـ.

- "هـيـاـ لـتـأـكـلـ."

قالـهـاـ غـيـلـسـ بـاـبـتـسـامـةـ وـهـيـ تـسـحبـ
الـكـرـسـيـ لـتـجـلـسـ.

دانـيـالـ تـقـدـمـ إـلـىـ الطـاوـلـةـ وـجـلـسـ بـهـدوـءـ،
دونـ أـنـ يـنـبـسـ بـبـنـتـ شـفـةـ.ـ لـمـ يـكـنـ يـعـرـفـ

كيف يشعر في هذه اللحظة. قبل دقائق
كان يقود السيارة وعيناه مشتعلة
بالغضب، أما الآن، فهو يجلس أمامها،
أمام شخص يحمل اسم العائلة التي
دمرت حياته... لكنه لا يجد في قلبه ذلك
الحقد الصافي كما توقع.

لماذا؟

-"إلى أين ذهبت؟"

قطعت غليس أفراده بسؤالها، وهي
تمسك بالشوكة وتلعب بها في طبقها
دونوعي.

-"لقد خرجت دون أن أحس بك."

رفعت نظرها إليه، ثم ضحكت قائلة
بنبرة خفيفة:

- "أتعلّم؟ بقيت لفترة لا أعلم مدتّها
أخاطب نفسي وأحسب أنك خلفي!"

نظر إليها، تأمل ضحكتها البسيطة، ثم
قال بصوت هادئ:

- "لقد ذكرت أمي... كانت في زيارة،
وكلت قد وعدتها أنني سأقلّها إلى المنزل
مساءً، ذكرت ذلك متأخراً، لهذا غادرت
مسرعاً... أنا آسف، غليس."

رفعت يدها بإشارة خفيفة وهي تهز
رأسها نافية:

- "لا، لا تأسف. لا مشكلة، إنها أمك،
وبالتأكيد عليك أن تفعل ذلك، خاصة أنك
وعدتها."

دانيل بقى يحدق فيها للحظات. كانت
كلماتها صادقة، عفوية، كأنها لا تحمل

أي ثقل أو سوء ظن. لم تكن تعلم أن الرجل الجالس أمامها قبل قليل فقط كان يخطط لإنها كل شيء.

لكنه بدل أن يجيب، قال فقط بصوت منخفض:

"غيلس..."

رفعت رأسها، نظرت إليه بفضول، تنتظر ما سيقول.

صمت للحظة، ثم قال:

"السلطة... لذية جداً."

ابتسمت له، وقالت بخفة:

"بصحتك."

ثم أكملت أكلها بهدوء، دون أن تدرك أن دانيال لم يكن يتحدث عن السلطة حقاً،

بل كان يحاول أن يقول أي شيء ليهرب
من أفكاره.

بعد أن أنهى طعامهما، تنهى دانيال
بصمت، ثم نهض من مكانه.

-"شكراً على العشاء، غليس. يجب أن
أذهب الآن."

لم تعترض، فقط ابتسمت قائلة:

-"حسناً، تصبح على خير، دانيال."

لكنه عندما خرج وأغلق الباب خلفه، لم
يكن متأكداً إن كان سيحظى بليلة هادئة.

لأول مرة، يشعر بأن خطته بدأت
تشوه... وأن غليس نايتها لم تكن كما
تخيلها.

في صباح اليوم التالي، نزلت غليس إلى
عملها، لكن قبل أن تخطو بعيداً عن

المبني، وقع نظرها على دانيال، واقفاً
بجانب سيارته، متوكلاً على الباب
بذراعين معقودتين.

قالت بتفاجؤ: "أنت هنا؟ صباح الخير!"
رفع حاجبه قليلاً وردّ بصوت هادئ:

"صباح الخير، نايتلي."

عبس بخفة ثم قالت:

"لما لم تصعد لتفطر معي؟"

ابتسم بمكر وأجاب:

"ظننت أنك ستتفطرين سلطة، فآثرت
النجاة."

انفجرت ضاحكة وهزّت رأسها بيأس:

"كم أنت وقح!"

غليس طفلة الظل

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني



سأرا معًا حتى وصلا إلى المطعم،
وهناك، توقف دانيال لوهلة، رافعًا نظره
إلى اللافتة فوق المدخل، قرأها بصوت
مسموع، وكأن الكلمات تثقل لسانه:

-"مقهى ومطعم السر..."

نظرت غليس إلى اللافتة معه، شاردة
للحظات قبل أن تهمس:

-"أتري؟ وكأن الحياة بأكملها مصممة
على تذكري."

لم تنتظر رده، بل اكتفت بابتسامة باهتة
ولوّحت له بيدها، قبل أن تخفي خلف
أبواب المطعم.

داخل المقهى، كان المكان ينبعض
بالحياة. صوت آلات القهوة، الأحاديث
المتناثرة، وضحكات متفرقة هنا وهناك.

سارت غيلس بين الطاولات بثقة، تلقى التحية على الزبائن المعتادين، قبل أن تصل إلى المطبخ.

ألقت مئزرها على الكرسي، ثم استندت إلى الطاولة، تنفس بعمق. لا تزال كلمات دانيال ترن في رأسها... "مقهى ومطعم السر..."

لم تكن تعرف إن كانت المصادرات تلتحقها، أم أن هذا مجرد هوسها المعتاد بكل ما يتعلق ب الماضيها.

- "غيلس!"

انتفضت قليلاً على صوت مدیرها، الذي أطل من باب المطبخ بوجهه العابس المعتاد.

- "توقف عن السرحان! لدينا طاولات تحتاج إلى الخدمة."

أومأت بسرعة وخرجت، ممسكة دفتر الطلبات، محاولة دفع الأفكار بعيداً.

لأنها اوقفت فجأة عندما رأت دانيال يجلس إلى طاولة في الزاوية، ينظر إليها مباشرة، وكأنه لم يغادر أصلاً.

ضاقت عيناهما وتقدمت نحوه بخطوات متعددة.

- "ظننت أنك غادرت."

ابتسم وهو يتکئ إلى الخلف:

- "غادرت، لكنني عدت."

وضعت دفتر الطلبات على الطاولة أمامه، وعقدت ذراعيهما:

- "دانيال، ماذا تريده؟"

مال نحوها قليلاً، وخفت ابتسامته:

- "أريد إجابات، غليس."

شعرت ببرودة تسري في أوصالها،
لكنها تماسكت.

- "أي نوع من الإجابات؟"

نظر إليها نظرة طويلة قبل أن يهمس:

- "عن ريتشارد نايتلي."

تجمدت ملامحه تماماً. كل الأصوات
حولها اختفت فجأة، لكيها أخفت ارتباكاها
سريرياً، ورفعت دفتر الطلبات، تحاول
الظاهر بأنها لم تسمع جيداً.

- "هل تريدين القهوة أم العصير؟"

- "أريد الحقيقة، غليس."

هذه المرة، لم تستطع أن تخفي
الاضطراب في عينيها، تراجعت غليس

خطوة إلى الوراء، محاولة الحفاظ على رباطة جأشها.

- "لا أعرف عن ماذا تتحدث، دانيال."

قالتھا بصوت ثابت، لكنھا اشعرت أن كلمتها الأخيرة خرجت مهزوزة قليلاً.

رفع حاجبه وهو يراقبھا، ثم تهد بخفة وأخذ رشفة من كوب الماء الموضوع أمامھ.

- "حقاً؟" قالھا بنبرة تحمل مزيجاً من الشك والاستفزار. "اسم نايتلي ليس شائعاً جداً، أليس كذلك؟"

قبضت غليس على دفتر الطلبات بقوة، لكنھا رسمت ابتسامة متکلفة.

- "هذا مجرد لقب، ولا يعني شيئاً."

- "هل أنت متأكدة؟"

ساد صمت ثقيل بينهما، صمت كان
دانيال يسأله تمنع به، بينما كانت غليس
تشعر أن كل ثانية تمر تزيد من ضربات
قلبها.

أخذ دانيال نفساً عميقاً، ثم مال نحوها
قليلاً، متجاهلاً أي شخص قد يسمعهما.

-"أبي قُتل بسبب شخص يحمل هذا
اللقب، غليس."

اتسعت عيناهَا للحظة، لكنها أخذت
نظرها بسرعة لتخفي صدمتها.

-"أنا آسفه لسماع ذلِك..." قالتها
بصوت خافت.

-"لا تكوني كذلك." قال دانيال بنبرة
باردة. "فأنا لا أبحث عن شفقتك، بل
عن الحقيقة."

وضفت غليس دفتر الطلبات على الطاولة بصوت مسموع هذه المرة، ثم التفتت متعددة.

-"لدي عمل لأقوم به."

راقبها دانيال وهي تمضي بخطوات متواترة، قبل أن يرفع كوب الماء إلى شفتيه، يتمتم لنفسه:

-"هربت... تماماً كما توقعت."

في غرفة الاستراحة، وقفت غليس أمام المرأة، تحاول تهدئة أنفاسها.

ما الذي يريد دانيال تحديداً؟ ولماذا الآن؟ هل كان يعرف شيئاً؟ هل شكّ بها؟

فتحت حقيبتها الصغيرة بتوتر، وأخرجت منها صورة قديمة باهتة الحواف. في الصورة، وقف رجل طويل يرتدي معطفاً

داكناً، إلى جانبه فتاة صغيرة بشعر أسود

طويل...

غليس.

أغمضت عينيها بقوة، وهمست بصوت

مرتفع:

-"ريتشارد... هل تطاردني من جديد

حتى بعد وفاته؟"

مقهى ومطعم السر - مواجهة غير متوقعة
خرجت غليس من غرفة الاستراحة

وهي تحاول الحفاظ على رباطة جأشها،
لكن عقلها كان يعج بالأسئلة.

كيف عرف دانيال اسم "نایتلی"؟ هل
كان مجرد صدفة؟ أم أنه كان يعرف أكثر

مما ينبغي؟

كانت الطاولات ممتلأة بالزبائن،
وضجيج الأحاديث يتصاعد في المكان،
لكنها شعرت وكأنها معزولة تماماً عن
كل ذلك. أنفاسها متلاقة، وخطواتها
مترددة وهي تتقدم نحو الطاولة حيث
جلس دانيال، يراقبها بهدوء مرير.

اقربت منه وسألت بصوت حاولت جعله
طبيعياً:

-"هل تريدين شيئاً آخر؟"
رفع دانيال نظره إليها ببطء، وابتسم
ابتسامة صغيرة، لكنها لم تصل إلى
عينيه.

-"نعم، أريد الحقيقة."

قبضت غليس على دفتر الطلبات في يدها، تشعر ببرودة غريبة تسري في أوصالها.

-"أي حقيقة تقصد؟" سألت ببرود مصطنع.

أراح دانيال ظهره على المendum، وأخذ رشفة من قهوته قبل أن يجيب بنبرة متأنية:

-"كنت أبحث عن قاتل والدي لسنوات، لكنه اختفى تماماً. لم يترك أثراً خلفه... إلى أن ظهر اسمه أمامي من جديد."

تجمدت غليس للحظة، لكنها سرعان ما أخفت ارتباكاها.

-"لا أفهم ماذا تقصد، دانيال."

حاولت أن تبتسم، لكنها شعرت بجفاف في حلقها.

-" مجرد تشابه أسماء، دانيال. لا أرى كيف يمكن لاسم مطعم أن يكون دليلاً على أي شيء."

مال دانيال إلى الأمام، واضعاً مرافقه على الطاولة، ناظراً إليها مباشرة:

-"ربما... لكنني لا أؤمن بالصدف، غيلس."

ازدردت ريقها بصعوبة، ثم قالت بنبرة أخف:

-"أنت تظن الكثير من الأشياء، دانيال." وقبل أن يستطرد أكثر، أضافت بصوت هادئ لكنه حاسم:

-"استمتع بقهوةك."

ثم استدارت ومضت متعددة، لكنه أوقفها

بكلماته الأخيرة:

- "إذا كنتِ بريئة... لماذا تهربين؟"

شعرت بقشعريرة تسري في جسدها،
لكنها لم تتوقف.

دانيال لم يكن يبحث فقط عن إجابات...
لقد كان يطارد الحقيقة. والكارثة أنها
نفسها لم تكن متأكدة مما ستفعله حين
يكتشفها بالكامل.

غليس لم تكن تعلم الحقيقة الكاملة عن
الجريمة التي ارتكبها والدها، ولا عن
هوية الرجل الذي قتله. لم يخبرها أحد
بالتفاصيل، ولم تحاول يوماً أن تبحث.
كانت مجرد طفلة آنذاك، وكل ما تعرفه

أن والدها ارتكب جريمة جعلت حياتها
تنهار من بعدها.

لكن الصدمة الحقيقية جاءت عندما
أدركت أن الضحية كان والد دانيال.
شعرت بأن الأرض ساحت من تحت
قدميها، وأن الماضي الذي حاولت دفنه
عاد ليطاردها من جديد.

لم تكن تعلم كيف تتصرف، ولم تجرؤ
على مواجهة الحقيقة أمام دانيال.

منذ تلك اللحظة، أصبحت تتجنب أسئلته
عن ماضيها، تتحاشى الخوض في أي
حديث قد يقود إلى تلك الليلة المشوّومة.
كانت تخشى أن يكون قد اكتشف الأمر،
أن يكون كل ما بينهما مجرد وهم
سينهار بمجرد أن ينطق بالحقيقة.

كلما نظر إليها دانيال بتركيز، شعرت وكأنه يقرأ أفكارها، وكان عينيه تخترقان جدار الأسرار الذي بنته حول نفسها. كانت تخشى أن يسأل السؤال الخطأ في اللحظة الخطا، فتهار أمامه. لم تكن مستعدة لخسارته، لكنها أيضًا لم تكن مستعدة لمواجهة الماضي الذي يلاحقها كظل لا يفارقها.

جلس دانيال في مكانه، يتأمل الطاولة التي زيت بالورود، وعقله يمتلئ بالاحتمالات.

لم تكن نبرة غليس في المكالمة عادية، كان هناك شيء ما... شيء جعله يشعر بأن هذه الليلة قد تأخذ مني غير متوقع.

رفع كوب القهوة أمامه واحتسى منه رشفة، لكنه لم يستطع تذوقها. كل ما كان يفكر فيه هو غليس، و"الشيعة" الذي تريد إخباره به.

بعد دقائق، لمح ظهراً عبر الزجاج، تقترب من باب المقهى بخطوات متعددة. بدت مختلفة الليلة... وكأنها تحمل ثقلاً على كتفيها، ثقلاً لم يكن موجوداً من قبل.

فتحت الباب ودخلت، عيناهَا تبحثان عنه حتى وجدها. اقتربت منه ببطء، ولم تبتسم كالعادة، بل جلست أمامه بصمت.

- "غليس... هل أنتِ بخير؟"

سألهَا وهو يراقب ملامحها المتواترة. تهدلت بعمق، ثم شبكت أصابعها ببعضها

على الطاولة، وكأنها تحاول استجماع
شجاعتها.

- "Daniyal... هناك شيء يجب أن أخبرك
به."

قالت بصوت منخفض، لكونه حمل في
طياته شيئاً يشبه الاعتراف بالخطيئة.

شعر Daniyal بأن قابره ينبع أسرع. هل
هذا هو الشعور الذي يسبق وقوع
الكوارث؟

- "أنا أستمع."

قال بصوت هادئ، محاولاً إخفاء قلقه.
أغمضت عينيها للحظة وكأنها تستعد
لقول شيء يصعب عليها نطقه، ثم
رفعت رأسها ونظرت إليه مباشرة،

عيناهَا تحملان مزيجاً من الحزن
والخوف.

-"الأمر يتعلق بماضي... وبماضيك أنت
أيضاً."

اتسعت عينَا دانيال قليلاً، جسده تيّبس
في مكانه، لكنه لم ينطق بكلمة.

"Daniyal... والدي... والدي هو..."
تلعثمت الكلمات في حلقة، لكنها لم
تكمـلـ.

قطعت اعتراف غليس نغمة كمان حالمـةـ،
ترددت في أنحاء المقهى كأنها جزء من
مشهد سينمائي رومانسيـ. التفتـتـ غـليسـ
بـتفـاجـؤـ نحو العازفـ، الذيـ كانـ يـعزـفـ
بـإـحـسـاسـ عـمـيقـ، ثـمـ نـظـرـتـ إـلـىـ دـانـيـالـ،
وـكـانـهـ تـسـتوـعـ بـلـامـ الأمرـ بـبـطـءـ.

تردد دانيال للحظة... هل يتراجع الآن
بعدما وصل إلى هذه اللحظة؟ لكن لا، لقد
اتخذ ذقراره، ولن يسمح للخوف أو
الماضي بأن يعيق طريقه.

نهض من مكانه، التقى علبة صغيرة من
جيب سترته، ثم وقف أمام غليس. كان
وجهها يعكس صدمة لم يتوقعها، وكأنها
غير قادرة على تصديق ما يحدث
 أمامها.

ركع على إحدى ركبتيه، رفع العلبة
 أمامها، وعيناه تشعلان بعزم صادقة.

-"غليس، أعلم أن علاقتنا لم تكن سهلة
 في الفترة الماضية، وأعلم أنك تحملين
 أثقالاً من الماضي، لكنني أحبك.
 وسأكون إلى جانبك مهما حدث، سأكون

سندك في أي ظرف... فقط امنحيـي
الفرصة. "



غليس، التي كانت على وشك البوح بالحقيقة، شهقت بصوت منخفض، دموعها المعت ففي عينيهَا. أرادت أن تصدقه، أن تصدق أن الحب قادر على طمس الجراح القديمة... لكنها لم تستطع. لم يكن الوقت مناسباً، ولم يكن بوسعها أن تخفي عنه الحقيقة أكثر من ذلك.

أغلقت عينيها للحظة، ثم همست بصوت متهدج:

"لكنّك لا تعلم شيئاً، دانيال..."

تصلب وجه دانيال للحظة، وكأنه لم يسمع كلماتها أو أنه رفض أن يفهم معناها. ظلّ ينظر إليها، نظرة تحمل كل

الحب الذي يكنه لها، وقال بصوت خافت
لكنه مليء بالإصرار:

- "غليس، لا يهمني ماضي، أريدكِ
أنت... شريكة لحياتي."

لكنها أغلقت علبة الخاتم ببطء، وأغلقت
أصابعه عليها، كأنها تعيد إليه مشاعره
قبل أن تتشكل إلى واقع.

رفعت رأسها، التقت عيناهما بعينيه
المترجيتين، ثم همست بحزن:

- "أنا آسفة، دانيال... ليس الوقت
 المناسب."

نهضت من مكانها بسرعة، أدارت
 ظهرها، واندفعت خارجة من المقهى قبل
 أن ينهاز تماسكها أمامه.

جلس دانيال هناك، لا يزال على ركبته،
يحدق في العبة المغلقة بين يديه، وقلبه
ينهار ببطء كمالاً و أن كل شيء كان
 مجرد حلم جميل... انتهى قبل أن يبدأ.

خرجت غليس من المقهى بسرعة،
خطواتها مضطربة، وكأنها تهرب من
شيء مخيف يطاردها. لم تستطع
مواجهة نظرات دانيال المنكسرة، لم
 تستطع تحمل روئيته بهذا الحزن، لكنها
 كانت تعرف... تعرف أنه إذا علم
 بالحقيقة، فسيكون الألم أكبر بكثير.

ركضت حتى ابتعدت عن المقهى، ثم
 توقفت في زاوية شارع فارغ، التقطت
 أنفاسها بصعوبة، وشعرت بدموعها
 الساخنة تتدفق على وجنتيها.

- "لماذا؟ لماذا يجب أن يكون هو؟"

همست لنفسها وهي تمسح دموعها
بسرعة.

في تلك الأثناء، لا يزال دانيال في مكانه،
جالساً بصمت. شعر وكأن قلبه قد تقلص
في صدره، وكان الهواء أصبح أثقل من
أن يتنفسه. حدق في العبة الصغيرة بين
يديه، ثم أطلق ضحكة قصيرة مكسورة،
لم تكن ضحكة فرح، بل ضحكة رجل لم
يفهم للتوكيف انها كل شيء أمامه.

نهض من مكانه ببطء، وضع العبة في
جيبه، ثم غادر المقهى بخطوات ثقيلة.
لم يكن يعرف إلى أين يذهب، لكنه شعر
بحاجة ملحة للابتعاد.

بعد ساعات من المشي بلا هدف، وجد نفسه يقف أمام القصر المهجور مجدداً. المكان الذي شهد أسوأ لحظات حياته، المكان الذي فقد فيه والده، المكان الذي أقسم فيه أن يجد القاتل وينتقم منه.

أشعل سيجارة، رغم أنه كان قد ألقع عنها، لكنه الآن لم يكن يهتم. سحب نفساً عميقاً، ثم أخرجها ببطء وهو يحدق في النوافذ المعتمة للقصر.

-"غليس... ماذا تخفين عنِّي؟"

تمتم لنفسه، وصورة عينيهما الحزينة تلمع في ذاكرته.

في تلك اللحظة، أدرك شيئاً واحداً... لم يكن مستعداً للاستسلام. إذا كانت غليس تحمل سرراً، فسوف يعرفه. وإذا كان

هناك شيء يمنعها من أن تكون معه،
فسوف يواجهه مهما كان الثمن.

لكن هل هو مستعد للحقيقة؟ وهل غليس
مستعدة لما قد يفعله عندما يعلم بها؟
صدمة أخرى... لكن هذه المرة، قد
يفقدها للأبد

وقف دانيال أمام القصر المهجور، يتأمل
الظلم الذي يبتلي نوافذه، عندما قطع
صوت هاتفه أفكاره. أخرجه من جيبه،
نظر إلى الرقم المجهول للحظة، ثم أجاب

ببرود:

"ـ من المتصل؟"

جاءه صوت متوتر من الجهة الأخرى:

"ـ هل أنت السيد دانيال كيرن؟"

"ـ نعم، من معك؟"

- "أنا من مستشفى سانت ماري... لدينا مريضة باسم غليس نايتسلي، تعرضت لحادث دهس وهي تعبر الطريق. نحتاج منك الحضور فوراً."

جمد دانيال في مكانه. للحظة، لم يستوعب الكلمات التي سمعها، وكأن دماغه رفضت صديقها.

- "ما... ماذا؟ كيف حدث ذلك؟ هل هي بخير؟"

صوته كان أكثر حدة مما قصد، قلبه يدق بعنف في صدره.

- "لا يمكنني إعطاؤك تفاصيل عبر الهاتف، لكن حالتها حرجة، ويجب أن تأتي الآن."

أغلق دانيال الهاتف قبل أن يسمع المزيد، ألقى بسيجارته على الأرض وسحقها بحذائه، ثم هرع إلى سيارته.

ضغط على دواسة الوقود بقوة، انطلقت السيارة بسرعة جنونية، تجاوز الإشارات، لم يهتم بشيء سوى الوصول إليها.

"لا، لا يمكن أن يحدث هذا، ليس الآن..."

كل الأفكار التي كان يحملها قبل لحظات اختفت، لم يعد يهتم بالرفض، لم يعد يهتم بالأسرار، الشيء الوحيد الذي يهمه الآن هو أن تكون بخير... أن تكون على قيد الحياة.

وصل إلى المستشفى، خرج من السيارة مسرعاً، دخل عبر الأبواب الزجاجية، عيناه تبحثان بجهون عن أي شخص يمكنه أن يخبره بمكانتها.

اقرب من الاستقبال، طرق بيده بقوة على الطاولة، وقال بصوت متوتر:

- "غليس نايتلي، أين هي؟!"

نظرت إليه الممرضة بقلق، ثم أشارت إلى الطابق الثالث:

- "غرفة العمليات... الأطباء يفعلون ما بوعهم."

شعر وكأن الهواء قد سُحب من رئتيه. العمليات؟ هذا يعني أن الأمر خطير.

- "يا إلهي... غليس، لا تتركيوني."

أخذ خطوة للوراء، شعر بدور بسيط
لأنه استجمع نفسه، ثم اتجه مسرعاً
 نحو المصعد، ضغط الزر مراراً كأن ذلك
 سيجعله يصل أسرع.

وصل إلى الطابق الثالث، وجد طبيباً
 يخرج من غرفة العمليات، هرع نحوه،
 أمسكه من ذراعه وسأله بقلق:

"كيف حالها؟ هل هي بخير؟"

الطيب نظر إليه لحظة، ثم قال بنبرة
مهنية لكن جدية:

"لقد فقدت الكثير من الدم... حالتها
مستقرة الآن، لكننا لا نعلم متى ستستعيد
وعيها."

أغمض دانيال عينيه لحظة، وأخذ نفساً
عميقاً، يحاول استيعاب الأمر. لم يكن

هذا كافياً، يريد أن يراها، أن يطمئن عليها بنفسه.

- "هل يمكنني رؤيتها؟"

- "ليس الآن، لكنها ستنقل إلى غرفة العناية المركزية بعد قليل، يمكنك الانتظار هناك."

هز رأسه، ثم سار ببطء إلى الكراسي الموجودة في الممر، جلس ووضع رأسه بين يديه، مشاعر مختلطة تعصف به.

قبل ساعات فقط، كان يعرض عليها الزواج، والآن... يكاد يخسرها؟ تذكر نظرتها الأخيرة قبل أن تهرب منه، كيف امتلأت بالحزن والخوف.

- "ماذا كنت ستخبريني يا غليس؟ لماذا كنت خائفة؟"

لأنه أقسم... عندما تستيقظ، لن يسمح لها بالهرب مرة أخرى. لن يتركها تختفي من حياته.

حتى لو كان الماضي يحملأسوء الأسرار... هذه المرة، لن يدعها تواجهه وحدها.

انتظار ثقيل... وجراح أعمق من الألم لم يسمحوا له بالدخول، لكن هذا لم يمنعه من البقاء. وقف دانيال خلف الزجاج، عيناه مثبتتان على غليس المستلقية بلا حراك، تحيط بها أصوات الأجهزة التي تراقب نبضاتها، تنذر بأنها ما زالت هنا... لكنها لم تكن "هنا" حقاً.

يدها ملفوفة بالجنس، شاش أبيض يغطي جبينها، وكدمات متاثرة على

وجهها الشاحب. المشهد كان ثقيلاً، أشد من أن يتحمله، لكنه لم يبعد نظره عنها ولو لحظة.

-"أرجوك، استيقظي..."

لم يكن يتحدث، لكنه كان يهمس بهذه الكلمات في داخله مراراً وتكراراً، وكأنها تعويذة قد تعيد إليها الحياة.

الليل كان بطيئاً، كئيباً، لكنه لم يبرح مكانه. جلس في الرواق، مرفقه على ركبته ويده تشد خصلات شعره، بينما عقله يصرخ بألف سؤال:

-"ماذا لو لم تستيقظ؟ ماذا لو كان هذا خطأي؟ ماذا كانت تريد أن تخبرني قبل أن يحدث كل هذا؟"

مع كل ساعة تمر، كان القلق ياتهمه أكثر.

- "Daniyal?"

رفع رأسه بسرعة على صوت الممرضة:

- "ستنقل الآن إلى غرفة عادية... يمكن أن تبقى معها، لكن لا تزعجها."

نهض فوراً، سار خلف السرير المتحرك الذي نقلها ببطء عبر الممرات حتى وصلوا إلى غرفة أكثر هدوءاً وأقل توتراً.

جلس بجانبها، يراقب أنفاسها المنتظمة، وكأنه يتتأكد في كل ثانية أنها لا تزال هنا.

غليس طفلة الظل

نسمات الادب للنشر الالكتروني



مد يده ببطء، أمسك أطراف أصابعها
الباردة، وأخذى رأسه قليلاً وهو يهمس
بصوت متعب لكنه صادق:
ـ"أنا هنا، ولن أذهب لأي مكان... لذا،
استيقظي، غليس."ـ

لم يعلم متى غلبه النعاس، لكنه نام
هناك، جالساً بجانبها، يده لا تزال تمسك
بيدها، كأنه يخشى أن تخافي إن أفلتها
لحظة.

وفي صباح اليوم التالي... تحركت
أصابعها ببطء، وأصدر جسدها أنيقاً
ضعيفاً.

فتح دانيال عينيه فوراً، نظر إليها
بترقب، وعندما رأها تحاول فتح عينيها
بصعوبة، شعر بأن قلبه كاد يتوقف.

- "غليس؟!"

فتحت عينيه انصف فتحة، نظرت حولها بارتباك قبل أن يقع بصرها عليه. حاولت تحريك شفتيها بصعوبة، فاقرب دانيال أكثر، صوته يخالط بالقلق والفرح في آن واحد:

- "أنا هنا، لا تهابي التحدث... أنتِ بخير، كل شيء سيكون بخير." لكنها تجاهلت كلماته، وبصوت ضعيف بالكاد خرج منها، همسـت:

- "أنا آسفة، دانيال..." ثم أغمضت عينيها مجدداً، تاركة إياه وسط موجة جديدة من الحيرة والخوف... ولكن هذه المرة، كان يعلم أنها تحمل سراً لم تبح به بعد.

بعد أن همست غليس بكلماتها الأخيرة، عادت إلى النوم، وملامحها شاحبة كأنها تحمل عبئاً أثقل من مجرد إصابة جسدية. كان تنفسها هادئاً لكنه غير منظم، وكأنها تحاول الهروب حتى في أحلامها.

وقف دانيال بجانبها للحظات، يراقب وجهها الغارق في ضوء المصايب الخافضة، ثم تهدى بقلق واتجاه لاستدعاء الطبيب.

وصل الطبيب بعد دقائق، يحمل حقيبة الطبية ونظرة احترافية على وجهه. أجرى فحصاً سريعاً، وضع يده على جبينها ليتأكد من حرارتها، ثم تفحص

نبضها بانتباه قبل أن يأتفت إلى دانيال
فائلاً بنبرة مطمئنة:

- "لا داعي للقلق، إنها بخير. يبدو أنها كانت مرهقة قبل الحادث ولم تحصل على قسط كافٍ من النوم، ولهذا هي بحاجة إلى الراحة. ستسقطي صباحاً على الأرجح."

ثم نظر إلى الضماد الملفوف حول ذراعها وأضاف:

- "يمكنك إخراجها إن أردت، لكن من الضروري أن تعود لتبديل الضماد يوماً بعد يوم، حتى لا يحدث التهاب."

ظل دانيال صامتاً للحظات، ينظر إلى غليس كما لو كان يحاول قراءة أفكارها وهي نائمة. لم يكن متأكداً إن كان يجب

عليه السماح لها بالمجادرة بهذه السرعة، أم إبقاءها هنا لمراقبتها أكثر. لكنه في النهاية، أدرك أن المسألة ليست فقط في حالتها الجسدية، بل في تلك الندوب التي لا تلتئم بسهولة، تلك التي لا يراها الطبيب...

أو ما دانيال لطبيب شاكراً، لكنه لم يستطع طرد القلق الذي تملكه وهو يحدق في غليس النائمة. كانت ملامحها شاحبة، ووجهها يحمل آثار التعب، وكان الحادث لم يكن السبب الوحيد لإرهافها.

نظر إلى يدها المحبسة، ثم إلى الضماد الملفوف حول رأسها، وشعر بوخذ في قلبه.

كيف حدث هذا؟ ولماذا؟

جلس بجانبها دون أن ينبع سبكلمة، يراقب أنفاسها الهادئة. عقله كان يعيّد ترتيب الأحداث—اعترافه، رفضها، رحيلها المفاجئ، ثم الحادث. هل كان مجرد صدفة؟ أم أن هناك شيئاً آخر تخفيه؟

مرت الساعات ببطء، ومع أول خيوط الصباح، بدأت غليس تستيقظ. فتحت عينيها ببطء، كأنها تحاول تذكر أين هي، ثم وقعت نظراتها على دانيال، الذي كان لا يزال بجانبها، يراقبها بقلق.

-"أين أنا...؟" قالت بصوت ضعيف.

-"أنت في المستشفى... تعرضت لحادث، لكنك بخير الآن."

حاولت رفع يدها إلى جبينها، لكنها تأوهت من الألم، فأسرع دانيال يمسك يدها بلين ويعيدها إلى الفراش.

-"لا تتحركي كثيراً... الطبيب قال إنك بحاجة للراحة."

أغمضت عينيها للحظة، وكأنها تحاول استيعاب ما حدث، ثم همست:

"أنا آسفة..."

رفع دانيال حاجبيه بدهشة، متساءلاً عن سبب اعتذارها. لكن قبل أن يتمكن من السؤال، أكملت بصوت خافت:

"لقد أقليتني... أليس كذلك؟"

زفر دانيال ببطء وقال بصوت هادئ لكنه حازم:

"أكثر مما تخيلين."

ساد الصمت للحظات، قبل أن يضيف:

- "الطيب قال إن بإمكانك الخروج اليوم،
لكن عليك المجيء كل يوم لتبغيير
الضماد".

هزت رأسها ببطء، ثم نظرت إليه بعيتين غامضتين قبل أن تقول:

- "دانیال... هل بقیت بجانبی طوال
الوقت؟"

لِمْ يَجِدُ بِهِ مُبَاشِرَةً، فَقَدْ طَنَّظَ رَأْيُهُ إِلَيْهَا

للحظات، ثم قال بصوت دافئ:

- "لن أتركك وحدك، غيلس."

قاطع دخول الجدة حديث دانيال وغليس،
وكانت ملامحها تعكس القلق والحزن.
اقربت بسرعة من حفيتها، وقبلت
جيئها بحنان قائلة:

- "غيلس، صغيرتي... ما الذي حدث لك؟"

"شفاكِ الله يا حبيبتي."

راقبها دانيال بصمت، بينما بدت غيلس مرهقة ومتفاجئة من حضور جدتها. لكن ما أثار استغراب دانيال أكثر هو سرعة وصولها إلى المستشفى.

نهض من مقعده ونظر إليها قائلاً

بنبرة حذرة:

- "أهلاً بـ دومكِ، لكنكِ أتعبتِ نفسكِ

بالحضور سريعاً."

رفعت الجدة رأسها ونظرت إليها

مستنكرة:

- "ماذا تقول يا دانيال؟ إنها حفيدي، من

ال الطبيعي أن أكون هنا."

ضيق دانيال عينيه قليلاً، ثم سأله

مباشرةً:

"ـ من أخبرك بالحادث؟"

نظر إليها بشك، متربقاً ردّها.

تجمدت ملامح الجدة للحظة قبل أن

تدرك نفسها وتقول بسرعة:

"ـ هل كنت تظن أنني لن أعلم؟ لقد اتصل بي أحد معارفنا في المستشفى فور وصولها."

لم يكن جوابها مقنعاً لDaniyal، لكنه لم يرد

إشارة الشكوك أمام غليس التي بدت

مرهقة جداً. اكتفى بإيماءة خفيفة وقال:

"ـ حسناً، المهم أنه باخير الان."

جلست الجدة بجوار غليس، تمسك يدها

بحذان بينما عيناهَا تفحصان وجهها
المتعب.

- "كيف تشعرين الآن، صغيرتي؟ هل
يؤلمك شيء؟"

أجبت غليس بصوت خافت:

- "أنا بخير جدتي، لا تقلقي... مجرد تعب
بسيط."

تهدت الجدة براحة، لكنها لم تستطع
إخفاء قلقها، بينما دانيال ظل واقفاً
يراقب التفاعل بينهما بعينين تملؤهما
الريبة.

بعد لحظات، استأنفت الجدة الخروج
قليلًا لشراء شيء من الكافيتيريا، وما إن
غادرت حتى استدار دانيال إلى غليس
قائلاً بنبرة جدية:

- "غليس، هناك شيء لا أفهمه... كيف

علمت جدتك بأمرك بهذه السرعة؟"

نظرت إليه غليس باستغراب، ثم هزت رأسها قائلة:

- "كما قالت لك، ربما أخبرها أحد ما..."

قاطعها دانيال بحزم:

- "غليس، نحن لم نخبر أحداً حتى الآن.
وأنا لم أسمع أي اتصال منها أثناء وجودي هنا. ألا تجدين الأمر غريباً؟"

ساد الصمت بينهما، وبدأ الشوك يتسلل إلى عقل غليس... عادت الجدة إلى غرفة غليس وهي تحمل بعض العصير والفاكهـة، فوجـدت حفيـتها وـحدـها.

تطـلـعتـ حولـهاـ قبلـ أنـ تسـأـلـ:

- "أين دانيال؟"

أجابت غيلس وهي ترفع عينيها إليها:

-"لا أعلم، قال إنه سيفعل أمراً وسيعود قريباً."

لاحظت غيلس الأكياس في يد جدتها، فابتسمت وسألت:

"ـ ماذا تحملين معك؟"

ابتسمت الجدة بدهاء ومدت إليها كيساً صغيراً:

-"جلبت لك بعض الفاكهة لثقة ولي جسدك، وانظري! اشتريت لك الشيبس الذي تحبينه."

توسعت ابتسامة غيلس وقالت بحماس:

-"أوه، شكرًا جدتي، أنت رائعة!"
لكن قبل أن تتمكن الجدة من الرد،

قاطعها دانيال وهو يدخل الغرفة، نظر إلى الجدة ثم إلى غيلس وقال مباشرة:
- "غيلس، لقد أنهيت الإجراءات في المستشفى، يمكننا المغادرة الآن." اقترب منها وحملها بين ذراعيه برفق.

تراجع الجدة خطوة إلى الأمام، متسائلة بقلق:

- "إلى أين تأخذها؟"

أجابها دانيال بهدوء، وهو يضع غيلس على الكرسي المتحرك:

- "إلى منزلي، سأعتني بها أنا وأمي."

ش هقت الجدة بغضب، وتقى دمت نحوه قائلة بحزم:

- "ماذا تقول؟ حفيدي ستذهب معي! لن أدعها تذهب مع الغرباء."

كان دانيال يحاول كبح غضبه، لكن غليس التي شعرت بيده تضغط على كتفها، أدركت مدى توتره. رفعت رأسها إليه، أمسكت بيده برفق وقالت بصوت هادئ لكنه حاسم:

"ـ سأذهب معك، دانيال."ـ

وقفت الجدة مصدومة، غير قادرة على استيعاب قرار حفيتها، بينما ودعها غليس بطف قبل أن تغادر مع دانيال.

خلال الطريق، كان دانيال يقود بحذر، متجنبًا أي حركة قد تسبب لها ألمًا. أما غليس، فكانت تحدق في الطريق بشروع، غارقة في أفكارها.

ـ "هل المتكـ؟" تسأعل دانيال مشيرا إلى كتفها وهو يلقي نظرة خاطفة عليها.

ابتسمت قليلاً وقالت بصوت هادئ:
ـ"قليلاً."

بلا تردد، مال دانيال نحوها قليلاً وقبل
كتفها بلطف.

اتسعت عيناهَا بصدمة واضحة، لكن
Daniyal تصرف وكأنه لم يفعل شيئاً،
وأعاد تركيزه على القيادة. بعد لحظة،
تنفست Glyss بعمق، ثم مالت برقة
نحوه، وأسندت رأسها على كتفه بينما
كانت تمسك ذراعه بيدها السليمية،
وكأنها تبحث عن الأمان في قربه.

ساد الصمت بينهما، لكنه لم يكن صمتاً
عادياً؛ كان مفعماً بالمشاعر المختلطة
التي لم تُقال بعد. شعر Daniyal بدفء

رأسها على كتفه، فابتسم بخفة، محاولاً إخفاء سعادته رغم قلقه المستمر عليها.

بعد دقائق من القيادة الهادئة، وصلا إلى منزل دانيال. خرج من السيارة بحذر، ثم انحنى ليحمل غليس بين ذراعيه مجدداً، لكن هذه المرة كانت نظراته أرقّ وأبتسامته أدفأ.

-"دانيال، يمكنني المشي... لا حاجة لأن تحماني." قالتها غليس بخجل وهي تحاول إخفاء ارتباكتها.

لكنه تجاهل كلامها وقال بمرح:

-"أفضل أن أكون متأكداً من سلامتك."

لم تستطع سوى الابتسام وهي تشعر بالأمان بين ذراعيه، دخل بها إلى المنزل

حيث كانت والدته بانتظارهما. تقدّمت المرأة بحنان وقلق واضحين، قائلة:

- "أهلاً عزيزتي غليس، كيف تشعرين الآن؟"

أجبت غليس بأدب:

- "أنا بخير، شكرًا لسؤالك."

قادها دانيال إلى غرفة الضيوف التي أعدّها خصيصاً لها، وضعاها برفق على السرير ورتّب الوسائد خلف ظهرها ليضمن راحتها.

- "إذا احتجت إلى شيء، فلا تتردد في مناداتي."

قالها بصوت دافئ وهو ينظر إليها باهتمام.

هزت رأسها بابتسامة خفيفة، بينما كان وجهها يحمل آثار التعب، قبل أن يغادر الغرفة، توقفت كلماته عند الباب:

"غيلس..."

رفعت رأسها لتنظر إليه بعينين مرهقتين لكن مليئتين بالامتنان.

"لا تقلقي بشأن أي شيء الآن... أنتِ بأمان هنا."

أومأت برأسها، محاولة كتمان مشاعرها التي بدأت تتضارب بداخلها، خرج دانيال وأغلق الباب بلهفة، لكنه بقي واقفاً للحظة، يتنفس بعمق محاولاً استيعاب ما حدث. مشاعره تجاه غيلس كانت أقوى مما تخيل، ولم يعد قادراً على إنكارها،

لكن كان عليه أن يكون قويًا من أجلها...
خاصة الآن.

في الداخل، اسْتَأْقَتْ غَيْسُ وأغْلَقَتْ عَيْنِيهَا، لكن كلمات دانيال وحنانه لم يفارقا تفكيرها. شعرت بالأمان، لكنها كانت تعلم أن هناك أسراراً مازالت تحاصرها... أسراراً قد تهدم كل شيء إذا اكتشفها.

دخل دانيال إلى غرفة غيس في المساء، فوجدها نائمة كالملاك، وطبق الغداء بجانبها بالكاد لمست طعامه. أخذ الطبق بهدوء، ثم جلس بجانبها يتأمل ملامحها الهدئة، بينما أفكاره تتراحم في رأسه :

- "لقد تأكّدت من شوكوي، غيلس... أنتِ أيضًا شعرتِ بما شعرتُ به، ولهذا اخترتِ المجيء معي بدلًا من الذهاب مع جدتك... لكن ما الذي تخفيته عنها؟"

مذ يده برفق نحو كتفها وهمس:

- "غيلس... استيقظي."

تململت قليلاً قبل أن تفتح عينيها ببطء، ثم ثنّاءبت وهي تفرّك عينيها بنعومة طفولية، لم يستطع دانيال منع نفسه من الابتسام وهو يراها بهذا الشكل البريء.

- "هيا، أغسلني وجهك، ثم نتناول العشاء معاً." قالها بلهفة.

اعتدلت غيلس في جلستها وقالت بنبرة مملوءة بالدهشة:

- "لقد نمت كثيراً... لم أنم بهذه الراحة
منذ سنوات."

ابتسم دانيال وقال بثقة:

- "ستحظين بنوم هادئ هنا بعد الآن."

ثم غير نبرته ليسأل:

- "هل تشعرين أنك بخير لتنزلي ، أم
تفضلين أن أجلب لك العشاء إلى
الغرفة؟"

هذت رأسها بسرعة:

- "لا، سأنزل ."

ابتسم دانيال وأومأ برأسه:

- "حسناً، سأنتظرك في الأسفل."

غادر الغرفة به دوء، تاركاً غليس
لتستعد. توجه نحو المطبخ حيث كانت
والدته تحضر العشاء.

- "هل استيقظت غليس؟"

سألت الأم بابتسامة دافئة.

- "نعم، وستنزل لتناول العشاء معنا."

أومأت والدته برضاء:

- "هذا جيد، سيساعدها ذلك على استعادة عافيتها."

بينما كان دانيال يرتيب الطاولة، سمع خطوات خفيفة قادمة من الدرج. رفع نظره ليجد غليس واقفة، مترددة بعض الشيء، لكنها ابتسمت عندما التقى عيناه بعينيها.

- "تعالي، لقد جهزنا كل شيء."

قال دانيال وهو يشير إلى الطاولة.

تقدمت غليس وجلست بهدوء، بينما رحبت بها والدته دانيال بحرارة:

- "أتمنى أن يعجبك الطعام، جهزته بحب من أجلك."

ابتسمت غليس بخجل:

- "شكراً لك... لم يتسع لي أن أشكرك على استضافتك لي."

ربت الأم على يدها بلطف:

- "أنت هنا كابنتي، لا داعي للشكر."

شعرت غليس بالدفء يغمر قلبها، لم تعتد على هذا النوع من الحنان العائلي.

خلال العشاء، كان دانيال يراقبها باهتمام، يلاحظ كيف تحاول أن تبدو بخير رغم شحوبها.

بعد انتهاء العشاء، جلست غليس وDaniyal في غرفة الجلوس، وصوت

التلفاز خافت في الخلفية. نظرت غيلس إلى دانيال وقالت:

- "أشعر أنني أثقلت عليك كثيراً."

هزّ دانيال رأسه نافياً:

- "لا تقولي هذا. أنا ممن أراد أن تكوني هنا... أريدك أن تكوني بخير."

ترددت لحظة قبل أن تقول:

- "لماذا تفعل كل هذا لأجلِي؟"

تصلب وجه دانيال لحظة، ثم قال

بصوت هادئ:

- "لأنِك... مهمـة بالنسبة لي، غيلـس."

اتسعت عيناهـا بدـهـشـةـ، ولم تـعـرـفـ بمـاـذاـ تـرـدـ.ـ لكنـ قـبـلـ أـنـ تـمـكـنـ مـنـ قـوـلـ شـيـءـ،ـ

أضاف دانيـالـ:

-"أعلم أن هناك الكثير من الأمور التي لم تُحَكَ بعد... لكن لا تقلق، لن أضغط عليك، فـ... طـ... أريـ دـكـ أن تـ شـ عـ رـ يـ بالـ أـ مـ اـ نـ".

شعرت غليس بالدموع تلمع في عينيها، لكنها أخفتها بابتسامة خفيفة وقالت:

-"شكراً لك... دانيال."

ساد الصمت للحظة، لكنه كان صمتاً مريحاً، ملئاً بالمشاعر غير المعلنة، لكن دانيال لم يستطع منع نفسه من التفكير:

-"ما الذي تخفيه عنِي يا غليس؟ وما سر تهربك من جدتك؟"

جلس دانيال أمام التلفاز واضعاً مباراة كرة القدم التي انتظرها طويلاً. عيناه

مركز تنان على الشاشة، ونظراته تتبع
بحماس كل حركة للاعبه المفضل الذي
يجري بسرعة على الساحة الخضراء،
يحاول تسجيل هدف حاسم. كان مندمجاً
 تماماً، مشدود الأعصاب مع كل تمريرة
 وكل تسديدة.

أما غليس، فجلست بجنبه، تتبع
المباراة بنظرات حائرة. لم تكن لها أي
علاقة بكرة القدم أو بالرياضية عموماً،
لكن فضولها دفعها لإلقاء الأسئلة واحداً
 تلو الآخر:

- "Daniyal، لماذا يركضون ذهاباً وإياباً
 دون توقف؟ ألا يتعبون؟"
 أجابها دون أن يلتفت:
 - "التبديل موجود لهذا السبب."

لم تفهم تماماً لكنها أكملت:

- "ولمَاذا ذاك اللاعب وحده يرتدي
قفازين؟ الجو ليس بارداً."

- "إنه الحارس... وظيفته إيقاف
الأهداف."

عقدت حاجبيها وقالت:

- "لماذا لا يسجل هو الأهداف إذن؟ أليس
الأقرب للمرمى؟"

كاد دانيال أن يضحك، لكنه تمالي نفسـه
وأجاب:

- "لا، دوره الدفاع فقط."

استمرت في طرح الأسئلة:

- "وماذا يعني هذا الخط الذي رسموه
على الشاشة؟ ولماذا يصرف الحكم كل
دقيقة؟"

أطلق دانيال زفرا خفيفة وقال:

- "هذا تسال... لا تقلي، سأشرح لك
لاحقاً."

لم تتوقف غيلس، بل أكملت بحماس:

- "لماذا يرفعون أيديهم عندما يسجلون
هدف؟ هل يحاولون إيقاظ شخص ما؟"

ضحك دانيال أخيراً، لكنه بقي مركزاً
على المباراة وقال:

- "إنه احتفال، غيلس... احتفال."

رغم انشغاله بالمباراة، إلا أن وجود
غيلس بجنبه، بأسئلاتها الطفولية
وحييرتها البريئة، جعله يشعر بسعادة لم
يعرفها من قبل.

لم تستطع غيلس كبح فضولها، فأردفت
بسؤال آخر:

- "لماذا يركض ذاك اللاعب بسرعة أكبر

من البقية؟ هل لديه حذاء سحري؟"

ابتسم دانيال أخيراً، وأجاب بينما عينيه

لا تزالان على الشاشة:

- "لا، فقط لأنه الأسرع... إنه موهوب."

صمتت للحظة ثم تسألت:

- "ولماذا يعانون بعضهم بعد تسجيل

الهدف؟ هل فازوا بالفعل؟"

ضحك دانيال هذه المرة بصوت مسموع،

وقال:

- "لا، لكنهم يحتفلون بالنجاح... الهدف

يعني أنهم اقتربوا من الفوز."

هزت غليس رأسها وكأنها تحاول

استيعاب الأمر، لكنها لم تستطع منع

نفسها من السؤال مجدداً:

- "وماذا عن هذا الرجل الذي يقف
بجانب الملعب ويصرخ؟ يبدو غاضبًا
جداً."

أجابها دانيال:

- "هذا المدرب... إنه يوجه اللاعبين."

حدقت فيه بدهشة:

- "وهم يسمعونه وسط كل هذا
الصخب؟"

ابتسم وقال:

- "ربما لا يسمعون صوته، لكنهم
يفهمون إشاراته."

نظرت إلى الشاشة مجددًا، وعينيها
مليئتان بالدهشة، ثم قالت:

- "هذه اللعبة معقدة أكثر مما توقعت."

أجابها دانيال بابتسامة دافئة:

- "سـ تفهمـنـها معـ الوقـتـ... أوـ ربـماـ سـأـظـلـ أـشـرـحـ لـكـ كـلـ مـبـارـأـةـ." نـظرـتـ إـلـيـهـ بـدـهـشـةـ،ـ وـقـالـتـ:ـ

- "هـلـ سـتـشـاهـدـهاـ مـجـدـاـ؟ـ"

ضـحـكـ وـقـالـ:ـ

- "بـالـتأـكـيدـ!ـ كـلـ أـسـبـوعـ تـقـرـيـباـ."

اتـسـعـتـ عـيـنـاـهـاـ وـقـالـتـ بـدـهـشـةـ:

- "كـلـ أـسـبـوعـ؟ـ وـكـيـفـ لـاـ تـشـعـرونـ بالـمـلـلـ؟ـ"

ضـحـكـ دـانـيـالـ مـجـدـاـ،ـ ثـمـ مـالـ نـحـوـهـاـ وـقـالـ:

- "وـمـاـذـاـ عـنـ روـايـاتـكـ الغـامـضـةـ التـيـ لـاـ تـتـهـيـ؟ـ كـيـفـ لـاـ تـشـعـرـينـ بـالـمـلـلـ مـنـهـاـ؟ـ"

ابـتـسـمـتـ غـيـلـسـ بـخـجلـ،ـ وـأـجـابـتـ:

- "تائٍ مختالٍ... كل قصة تحمل سرًا جديداً."

أوما دانيال برأسه وقال:
- "وكرة القدم أيضًا... كل مباراة تحمل مفاجآت وأسرارًا جديدة."

ساد الصمت للحظة، ثم أضاف مبتسمًا:
- "وربما سرًا كبيرًا آخر... مثل سبب موافقتك على البقاء هنا معى."

شعرت غليس بالخجل واحمر وجهها،
لكنها أخفت ارتباكتها بقولها:

- "ربما يومًا ما سأخبرك بهذا السر... حين أفهمه أنا أولًا."

نظر إليها دانيال نظرة دافئة، ثم عاد إلى متابعة المباراة، لكنه لم يستطع إخفاء ابتسامته. أما غليس، فقد بقيت تنظر إلى

الشاشة، لكنها لم تكن تتبع المبارزة
حقاً...

كانت تفكر في ذلك السر الذي بدأ يكشف
عن نفسه ببطء في قلبها.

مرت الدقائق بهدوء، والمبارزة تقترب
من نهايتها. كان دانيال مندمجاً كلياً،
وعيناه لا تفارقان الشاشة، بينما غليس
كانت تسترق النظارات إليه بين الحين
والآخر، تراقب تعابير وجهه المتوترة
أحياناً، والمبتهجة أحياناً أخرى.

ثم فجأة، ارتفع صوته بحماس:

"نعم! هدف! لقد فعلها!"

وقفز من مقعده منتثياً بالفرح، نظرت
إليه غليس بدهشة قبل أن تضحك على

رد فعله المبالغ فيه، وقالت بسخرية
لطيفة:

- "تصرخ وكأنك أنت من سجل الهدف."

جلس دانيال مجدداً وهو يحاول استعادة
هدوئه، وقال بابتسامة محرجة:

- "عذرًا... اندمجت كثيراً."

ردت غيلس بابتسامة:

- "من الجيد رؤيتك هكذا... سعيدًا."

نظر إليها لوهلة، وكأنه يحاول قراءة ما
خلف كلماتها، ثم قال بصوت أكثر
هدوءاً:

- "أنت أيضًا يجب أن تبتسمي أكثر،
غيلس... يليق بكِ الفرح."

شعرت غليس بوخزة في قلبها، و كان
كلماته لامست شيئاً عميقاً بداخلها. لكنها
ت ظهرت باللامبالاة وقالت مازحة:

- "إذن على مشاهدة المزيد من مباريات
كرة القدم، أليس كذلك؟"

ضحك دانيال وقال:

- "ربما... أو يمكنني إيجاد طرق أخرى
لرسم الابتسامة على وجهك."

احمرّ وجه غليس، ولم تعرف كيف ترد.
كانت تلك أول مرة تشعر بهذا الدفء
الذي يتسلل إلى قلبها.

لكن قبل أن تسترسل في أفكارها،
قاطعها دانيال قائلاً:

- "هل تريدين تناول الحلوى؟ أظن أن
هناك بعض الآيس كريم في الثلاجة."

أومأت برأسها بحماس وقالت:
- "بالتأكيد!"

نهض دانيال متوجهاً إلى المطبخ، بينما
بقيت غليس في مكانها، تشعر أن شيئاً
ما يتغير بداخلها. لم تكن متأكدة تماماً
مما يحدث، لكنها كانت متيقنة من شيء
واحد... وجود دانيال إلى جانبها جعل
حياتها أقل ظلاماً، وأكثر دفناً.

ابتسمت بهدوء وهي تسمع خطواته
تقرب، وفكرت في نفسها:
- "ربما... ربما لم يكن البقاء هنا قراراً
سيئاً."

عاد دانيال حاملاً وعاءين من الآيس
كريم، وقد زينهما بقطعة الفاكهة
والشوكولاتة.

ابتسم وهو يتناول أحد هما لغيلس قائلاً:

- "تفضلي، علاج مثالي بعد مبارأة مشوقة."

أخذت غيلس الوعاء بامتنان، ونظرت إلى قطع الفاكهة المرتبة بعناية، وقالت مازحة:

- "لم أكن أعلم أنك ماهر في إعداد الحلوى أيضاً."

ضحك دانيال وقال: "هناك الكثير مما لا تعرف فيه عنني بعد."

تأملت غيلس كلماته، وأخذت ملعقة من الآيس كريم البارد، بينما بدأ دانيال بتناول حصته. ساد صمت مريح بينهما للحظات، فقط صوت الملاعق وهي تلامس الأطباق.

ثم رفعت غليس عينيهما وقالت بنبرة

فضولية:

- "أنت تحب كرة القدم كثيراً، أليس كذلك؟"

أومأ دانيال برأسه بحماس:

- "منذ صغرى... كنت أحلم بأن أكون لاعباً، لكن الحياة أخذتني في طريق مختلف."

نظرت إليه بتعجب:

- "لماذا لم تسع وراء حلمك؟"

تنهد دانيال وأجاب:

- "أحياناً تكون الظروف أقوى من الأحلام... كان علىي أن أتحمل المسؤولية بعد وفاة والدي. تركت كل شيء وراء

ظهرت، والتحقت بالشرطة لأكون سندًا
لأمي ."

شعرت غليس بلمسة حزن في صوته،
ورأت لمعة في عينيه وهو يتذكر
ماضيه. لم تكن تعلم بهذا الجزء من
حياته، وأدركت كم هو قوي وشجاع
ليضحى بأحلامه من أجل عائلته.

همست برقة: "لا بد أنك كنت رائعاً في
اللعب."

ابتسم دانيال وهو ينظر إليها:
ـ"كنت كذلك... لكن لا بأس، مازلت
أستمتع بمشاهدتها على الأقل."

ابتسمت غليس بدورها، ثم نظرت إلى
وعاء الآيس كريم وقالت بمكر:

- "على الأقل أنت بارع في إعداد الحلوى."

ضحك دانيال بصوت عالٍ، وقال:
- "أوه، هذا لأنني لا أريد أن تتدمي على البقاء هنا."

ردت غيلس بسرعة:
- "لن أندم."

صمتت بعد أن أدركت ما قالته، وخفضت عينيها إلى الآيس كريم الذي بدأ يذوب ببطء.

تأملها دانيال للحظة، ثم قال بلطف:
- "غيلس... أنا سعيد لأنك هنا."

رفعت رأسها ونظرت في عينيه، ورأت الصدق في كلماته. شعرت بقلبهما ينبع بسرعة، ولم تعرف كيف ترد.

لكنها ابتسمت بهدوء وقالت:
ـ "وأنا أيضًا."

عادت لتناول الآيس كريم، محاولة إخفاء احمرار وجهها، بينما ظل دانيال ينظر إليها بابتسامة هادئة، يشعر أن لحظات السعادة هذه هي كل ما يحتاجه الآن.

كانت تلك الليلة بداية جديدة لهما، دون أن يدركا.

بعد أن انتهيا من تناول الآيس كريم، أخذ دانيال الوعاءين إلى المطبخ، ثم عاد ليجد غليس تتراءب بتبغ.

ـ "لقد نعست،" قالتها بنبرة مرهقة.
توقف دانيال بجانب الأريكة حيث كانت تجلس وقال بابتسامة:

- "حسناً، فلنذهب إلى غرفنا إذن."

نظرت إليه غليس بمكر، وارتسمت على شفتيها ابتسامة طفولية قبل أن تمد يديها نحوه قائلة:

- "احملني إلى غرفتي... أشعر بتعب شديد."

رفع دانيال حاجبيه بدھشة، ثم ضحك وهو يهز رأسه غير مصدق:

- "أوه، هـذا إذن؟ تسـتغلين بـتعبـك لأـحملـك، أـليس كـذلك؟"

مال نحوها وحملها بـ بين ذراعيه بـ سهولة، قبل أن يضيف بمزاح:

- "يـبدو أنـ حـضـنيـ يـعـجـبـكـ لـذـكـ لاـ تـفوـتـينـ فـرـصـةـ لـتـرـتـمـيـ فـيـهـ."

احمر وجهه غليس من كلامه، وضربته
بخفة على صدره بقبضتها الصغيرة
قائلة:

- "يبدو أنه يعجبك أنت أكثر."

ضحك دانيال وقال بثقة:

- "إذاً، اعترفت أنه يعجبك."

احمر وجهها أكثر وقالت بنفي سريع:

- "لم أقل ذلك!"

أجاب دانيال بمكر:

- "بلى، لقد سمعته بوضوح."

لم تجد غليس ردًا، فاكتفت بالضحك
وهي تدفن وجهها في صدره.

عندما وصلا إلى غرفتها، فتحت غليس
الباب، ودخل دانيال بحذر قبل أن يضعها
بلطف على السرير.

نظر إليها وقال بابتسامة:

- "تصبحين على خير، أيتها الصغيرة المدللة."

أجبته بابتسامة دافئة:

- "وأنت بخير، يا حامل الأثقال."

ضحك دانيال وهز رأسه، ثم غادر الغرفة بهدوء، تاركاً غليس تفرق في نوم هادئ، وابتسامة خفيفة لا تزال على وجهها.

في غابة كثيفة ومظلمة، كانت غليس ترکض بجنون، تنظر خلفها برب و هي تحمل مسدساً بيده مرتجفة. فستانها الأبيض ملطخ ببقعة من الدماء، وأنفاسها تتلاحق وهي تهرب من شيء يطاردها بلا هوادة.

استيقظت غليس فجأة، فزعة ومبالية بالعرق. قلبها ينبعض بعنف، ونظراتها مذعورة.

-"الكابوس نفسه... منذ خمس سنوات، ولا يزال يلاحقني."

جلست وهي تتكئ على رأس السرير، تلقي أنفاسها المتتسارعة، ولكن عينيها اتسعتا رعباً عندما لمحت ظلام يعبر زجاج نافذتها بسرعة البرق. تكرر المشهد عدة مرات، فازداد خوفها.

قفزت من مكانها دون أن تعبأ بالآلامها، واندفعت نحو باب غرفتها. كانت تلتفت يميناً ويساراً في قلق، وكأنها تخشى أن تهاجمها تلك الظلاء. وصلت إلى غرفة دانيال وفتحت الباب دون طرقه، ثم

دخلت وأغلقته بسرعة واتكأت عليه وهي تغمض عينيهما محاولةً تهدئه نفسها.

رفع دانيال رأسه بدهشة من على الأريكة، حيث كان ممدداً ويقراً كتاباً بنظاراته.

- "غليس؟ ما الأمر؟"

فتحت غليس عينيهما بارتباك واضح وقالت بتلعثم:

- "آسفة على اقتحامي هذا... لكن... رأيت كابوساً... و... هناك شيء ما في غرفتي."

أغلق دانيال كتابه، وخلع نظاراته باهتمام، وقال بقلق:

- "شيء؟ ماذا تعنين؟"

هذت رأسها بعجز:

-"لا أعلم... لكنه كان هناك."

لاحظ دانيال شحوب وجهها وملابسها
المبللة بالعرق، فأدرك مدى خوفها.

اقرب منها بحذر وهو يقول بجدية:

-"سأذهب لأتفقد غرفتك."

ولكن قبل أن يتحرك، وقفت غليس أمامه
بسرعة وقالت:

-"لا... لا داعي لذلك."

ثم أخذت نفسا عميقا وأضافت وهي
تحاول أن تبدو أكثر هدوءا:

-"اسمع، ستفعل التالي... أنت ستبقي
هنا على الأريكة وتواصل قراءة كتابك،
وأنا..."

نظرت حولها بسرعة، ثم أشارت إلى سريره قائلة:

"ـسأتم هنا... نعم، هنا... بكل هدوء."

لم يفهم دانيال سبب توترها، لكنه رأى الرعب في عينيها، فقرر أن يوافق دون جدال.

غطّاها بالحاف برفق، ثم عاد إلى الأريكة كما طابت، محاولاً العودة إلى كتابه، لكن ذهنه لم يكن مرتاحاً.

بعد نصف ساعة من التقلّب على السرير، جلست غليس فجأة، عيناهما متعلقتان بDaniyal الذي كان يقرأ بتركيز. ترددت للحظات، ثم خطت ببطء نحوه، وقفـت خلفه، وقـالت بصوت خافت:

"ـDaniyal..."

التفت إليها بتساؤل:

- "لم تستطعي النوم؟"

هذت رأسها وقالت بتردد:

- "لا... لم أستطع... لاأشعر بالراحة..."

هناك شيء أريد أن أخبرك به."

اعتدل دانيال في جسلته، وركز نظراته

عليها بجدية:

- "أنا هنا لأسمعك، قولي كل ماتريدين."

سارت غليس بهدوء وجلست أمامه،

وعيناهَا تحملان مزيجاً من الخوف

والتردد.

- "حان الوقت لتعرف الحقيقة،"

قالتها بصوت مرتجف، بينما كان دانيال

ينتظر كلماتها التالية بترقب شديد.

- "Daniyal، أريدك أن تستمع إليّ حتى النهاية. لا تفاجئني مهما كانت أسئلتك... سأجيبك عنها جميعاً."

أو ما دانيال برأسه موافقاً، لكن ملامح التوتر كانت جليّة على وجهه، وكان كلماته قد حبس في حلقة.

أخذت غليس نفسها عميقاً، ثم بدأت حديثها بصوت يحمل في طياته ألم الماضي:

- "منذ عشرين سنة، كان هناك رجل في الثلاثين من عمره. كان له مكانة المرموقة في المجتمع، عاش حياة مرفهة مع والدته المتكبرة والأنانية. أما والده فقد توفي وتركه طفلاً صغيراً. هذا الرجل وقع في حب امرأة فقيرة من قرية

بعيدة. لم يكن الحب باختياره، فقد كان أعمى، يتحدى الفوارق الاجتماعية. لكن والدته رفضت هذا الحب بشدة. غرورها وأنانيتها جعلاها تخيّره بين أمرين: إما أن يتزوج بمن تختاره أمه ويدّتفظ بثروته وحياته المرفهة، أو يتزوج من تلك المرأة الفقيرة ويُخسر كل شيء—أمه وممتلكاته. لم يفكّر طويلاً... ترك كل شيء وراءه وتزوجها. لكن حياة الفقر لم تكن كما اتصور. بعد أن كان مدللاً يحصل على كل ما يريد، وجد نفسه يعيش في بؤس وضيق.

ورغم كل تلك الظروف القاسية، رُزق بابنة... لكنها لم تكن محظوظة. لم يحبها والدها أبداً، بل اعتبرها عبئاً عليه.

طالب زوجته أن تتحملها وترحل، لكنها رفضت. كانت تحبه بشدة، ولم يكن لها مأوى آخر غير ذلك المنزل المهترئ.

ومرت السنوات، وكبرت تلك الطفلة وسط فقر مدقع، وأبٍ قاسي يعود كل ليلة مخموراً، يضربها ويعنف والدتها. كانت الأم تفعل كل ما بوسعتها لتأمين حياة أفضل لابنته، حتى إنها أحقتها بالمدرسة. لكن لم يمض وقت طويلاً حتى أوقف والدها دراستها بحجة أنه لا يستطيع تحمل تكاليفها، رغم أنه كان ينفق كل أمواله على زجاجات الخمر. كان غرور والدته متذمراً فيه، حتى إنه لم يتردد في طرد ابنته الصغيرة في الليل إلى الباردة ليجبرها على التسول

و جلب المال له. أعمته أناينته و جشه، لدرجة أنه حاول بيعها مقابل المال. لكن والدتها لم تسمح بذلك. باع كل ما كانت تدخره للأيام الصعبة، حتى وإن كان مبلغاً زهيداً، لمنعه من بيع ابنتهما."

صمتت غيس للحظات، وعيتها مغورقةان بالدموع، ثم نظرت إلى دانيال بنظرة تحمل ثقل الماضي وقالت بصوت مرتفع

-" تلك الصغيرة كبرت، وكبر معها حقدها على والدها يوماً بعد يوم."

كان الحقد يتآجج في قلبهما كلما رأت الأطفال يرتدون ملابسهم المدرسية النظيفة، يذهبون إلى مدارسهم بضحكات

برئية، بينما كانت هي تقف على الأرصفة، تبيع الفطائر والورود لتعين والدتها على المعيشة. كانت نظرات الاحتقار والتعالي ترسم على وجوههم كلما مرروا بجانبها، تزيد من شعورها بالقهر والظلم.

لكن وسط تلك النظارات الباردة، كان هناك فتى صغير يختلف عنهم جميعاً. كان يأتي برفقة والده ليشتري منها الأزهار. لم يكن يكتفي بذلك، بل كان يلعب معها، يرسم البسمة على وجهها البريء. كان بالنسبة لها كنسمة أمل وسط حياة قاتمة. لكنها فجأة لم تعد تراه... اختفى هو ووالده دون وداع،

تاركًا خلفه ذكري دافئة في قلبها الصغير.

مررت السنوات، وفي يوم عاصف كانت الفتاة في الثامنة من عمرها حين اقتحم والدها المنزل وهو يلهث، يحمل في يده حقيبة ملئية بالأموال. عيناه كانتا تلمعان بجنون، وصوته يتردد في أرجاء الغرفة وهو يقول لزوجته:

-"سأرحل من هنا... لا تسأليني إلى أين."

ولم يُظهر أي ندم أو تردد. جمع ما استطاع حمله، واختفى... لم يعد أبداً، تاركًا زوجته وابنته لمواجهة مصيرهما المجهول.

كبرت الفتاة، وكبر معها حقدها على والد
لَمْ يعترف بها يوماً، لم يناديهَا يوماً
بِأَفْظُلَةٍ "ابنتي". تركها تواجهه قسوة
العالم، وترك والدتها تواجهه المرض
الذى نخر جسدها بسبب حزنه وخيباتها
المتالية.

نظرت غليس إلى الأرض، وصوتها
يرتجف من قسوة الذكريات.

-"ذلك الرجل... كان أبي".

اكملت ولم تدع له مجالاً ليتحدث او
ليندّهش من ماضيها، بعد مرور أربع
سنوات، ظهر ذلك الرجل على شاشة
التلفاز، يتصدر الأخبار تحت شريط
عاجل كتب عليه:

- "تم القبض على المتورط في سرقة مأذن أكبر شركة والسبب في انهيارها بالتعاون مع شركائه في عملية النصب وقاتل رجل الاعمال فيكتور كيرن."

قاطعها دانيال، وعيناه تتسعان دهشة:

- "ريتشارد نايتلي؟"

أومأت غليس برأسها، ملامحها تحمل مزيجاً من الألم والمرارة:

- "نعم... إنه هو."

شعر دانيال بغصة في حلقه، وحاول السيطرة على مشاعره قبل أن يقول:

- "أكملني..."

تهجدت غليس بعمق، وأكملت بصوت منخفض:

-"بعد أن سُجن، لم تستطع والدته المغرورة تحمل الفضيحة. لم يهمها ما فعله أو من أذى، كل ما كان يعنيها هو سمعتها ومكانتها. ذهبت إليها... إلى زوجته وابنته. وقفت أمامنا بنظراتها المتعالية واحتقرت معيشتنا دون رحمة، وكأننا سبب ما حدث."

أخذت غليس نفسها عميقاً قبل أن تكمل، وملامح الألم ترسم على وجهها:

-"سمعتها وهي تتحدث بغرور وكبراء، لم تكن تهتم لأي شيء سوى سمعتها وأسم عائلتها. قالت إنها لن تسمح بأن يُلطخ اسمها بعار السجن، وإنها مستعدة لدفع أي ثمن لإخراج ابنها من هناك،

لكن بشرط واحد... أن يتذمّر عن أمي
وعنيّ.".

توقفت لحظة، وعيناهما تغرور قان
بالدموع:

"كانت تتحدث وكأننا مجرد أشياء،
وكأن حياتنا بلا قيمة. سمعتها وهي
تبخره أنه إذا أراد أن يسْتعيد ثروته
ومكانته فعليه أن ينسى وجودنا. وكان
ردّه..."

صمتت، وكأن الكلمات تخنقها، لكنها
أكملت بصوت مرتجف:

"وافق... وافق دون تردد. لم يسأل
حتى عنا، لم يهتم بما سنواجهه بعد
ذلك. بالنسبة له، كنا مجرد عبء يريده
التخلص منه."

كان دانيال يسمع بصمت، لكنه شعر
بغضبٍ يعصف بداخله، ليس فقط على
ريتشارد، بل على كل من تجرأ على
جرح هذه الفتاة البريئة.

بعد فترة قصيرة، قررت جدتي تنفيذ
خطتها التي سمعت تفاصيلها صدفة يوم
زيارتتها لنا. ظهرت برغبتي في زيارة
والدي معهَا، والمفاجئ أنها وافقت
بسهولة. لم يكن ذلك بداع حبهالي، بل
لأنها أرادت أن ترينني كيف سـيـتـخـلـى
عني دون تردد.

انطلقنا في سيارة فاخرة، يرافقتا
حارسان. لكن ما أدهشني أننا لم ندخل
السجن، بل توقفنا على مسافة بعيدة،

بعيدة بما يكفي كي لا يراهم أحد. سألتها

باستغراب:

- "لماذا توقفنا هنا؟ ألم ندخل لرؤيتها؟"

ردت ببرود صدمني:

- "لن ندخل... هو من سيأتي إلينا."

قبل أن أستوعب كلماتها، رأيتها يقترب من بعيد. تجمدت في مكاني، وبذلت الأسئلة تتدايق في رأسي. كيف استطاعت إخراجها من السجن بهذه السهولة؟ لم أكن أعلم أن نفوذها يصل إلى هذا الحد... لكن ما فهمته لاحقاً أنها لم تخرجها، بل حبسها شخصاً آخر

مكانه.

لم أتحمل الصدمة... مشاعري اختلطت
بين الحقد، الغضب، والخيانة. اندفعت
نحوه، كنت أريد معانقته... لكنني قتلتاه.
انتفض دانيال واقفاً، ملامحه ملأتها
الصدمة وعدم التصديق.

انهارت غليس في البكاء، صوتها
مختنق وهي تتبع:

-"كنت في السادسة عشرة، لم أفهم ما
الذي فعلته... كنت طفلة تائهة غارقة في
حقدها وألمها. لم أستطع تقبل فكرة أن
يعيش حياته بسعادة بعد كل ما فعله
بنا... بعد كل من عذبهم وسرقهم ولم
يشع حتي قتل شخصاً بريئاً. لم أكن
أريد سوى إيقافه... لم أكن أريد أن
أكون قاتلة".

وقفت الكلمات في حلق دانيال، عيناه تحملان مزيجاً من الحزن والتعاطف. لم يكن يعرف ماذا يقول.

ساد الصمت في الغرفة، وكأن الزمان توقف عند اعتراف غليس. لم يستطع دانيال تحريك عضلة واحدة، عيناه مثبتتان عليها بذهول لا يصدق. حاول التحدث، لكن الكلمات خذلتله، فما سمعه لتو كان أكبر من أن يستوعبه بسهولة.

استمر بكاؤها بحرقة، وصوتها يرتجف وهي تكرر:

"أنا لست قاتلة... لم أقصد... لم أستطع التحكم في نفسي... لقد انهارت كل مشاعري دفعة واحدة... حقدى، غضبى،

المي... لم أتحمل... لم أتحمل أن يعيش
وكان شيئاً لم يكن."

اقرب دانيال منها ببطء، وجلس
بجانبها، عيناه لا تزالان مليئتين
بالصدمة، لكن ملامحه بدأت تلين مع
سماعه لألمها المكتوب. مد يده بتردد،
ثم وضعها بلطف على كتفها المرتجف:

"غليس... لم لم تخبريني من قبل؟
لماذا تحملت كل هذا وحدك؟"

مسحت دموعها بيدين مرتعشتين،
محاولة السيطرة على شهقاتها:

"لأنني كنت خائفة"

في الصباح ، وبينما كانت غليس نائمة
بعد ليلة مليئة بالاعترافات والدموع،
قرر دانيال أن يبدأ تحقيقه. جلس في

مكتبه، وأخرج ملفاته، وبدأ بالبحث في تاريخ الجدة، نفوذها، وأعمالها غير المعروفة. استخدم كل مصادره السرية واتصالاته داخل الشرطة للوصول إلى أي خيط قد يكشف حقيقتها.

بعد ساعات من البحث، وجد شيئاً مثيراً للاهتمام. كان هناك رجل يدعى "فريدريك لويس"، موظف سابق لدى الجدة، والذي تم طرده في ظروف غامضة قبل عدة سنوات.

وفقاً للتقارير، كان يعمل في أحد شركاتها الكبرى، لكنه اختفى بعد فترة وجيزة من طردته.

دون تردد، قرر دانيال البحث عن فريديريك. استعان بأحد معارفه في الأمن

الخاص لتحديد مكانه، واكتشف أنه يعيش في حي مهملاً بعيداً عن الأنظار.

في تلك الليلة، زار دانيال فريديريك في شقته المتواضعة. كان الرجل حذراً في البداية، لكن بمجرد أن ذكر دانيال اسم الجدة، تغيرت ملامحه، وظهر عليه القلق.

-"لا أريد أي علاقة بها، لقد دمرت حياتي"

قال فريديريك وهو ينظر حوله بتوتر.

-"أنا لا أعمل لصالحها، بل أحاول كشف حقيقتها. أريد أن أعرف ماذا فعلت ولماذا كانت مستعدة لسجن حفيدتها فقط للتحكم بها،"

قال دانيال بنبرة جادة.

تهد فريديريك، ثم قال بصوت خافت:

- إنها ليست فقط امرأة متساطة، إنها مجرمة ذكية. لديها يد في عمليات تبييض الأموال، وشراء ذمم المسؤولين، وتصفيه من يعارضها بطرق ملتوية. لقد رأيت ملفات سرية تحتوي على أسماء أشخاص تم التخلص منهم، وأخرى تحمل أدلة على رشوطها للقضاء ورجال الأمن."

اتسعت عينا دانيال مع كل كلمة قالها فريديريك. لم يكن يتوقع أن يصل الأمر إلى هذا الحد.

- "هل لديك أي دليل؟"

سأل دانيال، محاولاً الحفاظ على هدوئه.

-"كان لدى، لكنهم دمروا كل شيء. ومع ذلك، هناك شخص آخر قد يكون لديه نسخ من تلك الملفات... إنه المحامي السابق للجدة، يدعى "مارك هاريس".
لكنه اختفى منذ مدة."

أدرك دانيال أن عليه العثور على مارك، وأن ما يفعله قد يكون أخطر مما توقع.

التفت إلى فريديريك وقال:

-"إذا كنت تريدين إنهاء هذا الكابوس، ساعدني في العثور عليه."

وافق فريديريك بعد تردد، وهكذا بدأ دانيال سباقه مع الزمن، ليس فقط لكشف حقيقة الجدة، بل لحماية غليس من أن تصبح ضحية أخرى في لعاتها القذرة.

لم يضيع أي منها الوقت في البحث عن
المحامي السابق للجدة
في المساء و بعد يوم شاق عاد دانيال
إلى المنزل سأله أمه عن غليس.

- "أكلت القليل من الحساء و نامت لم
 تستطع مغادرة الفراش فهي متعبة"
 قالت ذلك ثم أضافت بتساؤل:
 - "ما بها يا دانيال"

- "لا ليس هناك شيء هي متعبة من اثر
 الحادث فقط."

بالرغم من شكوك أمه بان شيئاً يحدث
 ولكنها لم تجادله و اكتفت بالصمت.

اتجه دانيال إلى غليس يطمئن عليها
 لكنه وجدتها تغطى في النوم مال إلى

مستواها قبل جيئها باطف ثم إتجه إلى
مكتبه.

جِلْس دانيال في مكتبه، يراجع الملفات
التي جمعها حول القضية. كان يعلم أن
هناك شيئاً ناقصاً، حلقة مفقودة في
القصة، ولم يستطع التخلص من شعوره
بأن الجدة تختفي أكثر مما تظهر. بينما
كان يحدق في الأوراق، رن هاتفه فجأة.

"دانيل كيرن؟"

جاءه صوت عجوز متعدد.

"نعم، من معى؟"

"مارك هاريس، كنت محامياً سابقاً
لजدة نايتلي... وأظن أن لدى معلومات
ستغير كل شيء."

كانت نبرة الرجل متوتة، وكأنه يخشى أن يكون مراقباً. حدد لدانيال موعداً في مكان بعيد عن الأعين.

"في اليوم التالي"

في الصباح الباكر، استيقظ دانيال على ضوء الشمس الذي تسلل عبر ستائر غرفته.

جلس للحظات يحاول استيعاب ما حدث الليلة الماضية، تفاصيل اعتراف غليس لاتزال تتردد في ذهنه. لقد كشف جزءاً من الحقيقة، لكنه كان يعلم أن هناك ما يخفي وكان عليه أن يتحرك.

ترك غليس نائمة في القصر تحت رعاية والدته، التي لم تخف قلقها عليها. كانت غليس متعبة ومنهكة، جسدياً وعاطفياً،

وارتفاع حرارتها زاد من سوء حالتها.
طلب والدته من الطبيب الحضور
لفحصها، لكنه لم يستطع البقاء. كان
يعلم أن رحلته اليوم قد تغير كل شيء.

قاد سيارته باتجاه مكتب محامي الجدة السابق، الرجل الذي اختفى عن الأنظار منذ سنوات بعد أن أنهت خدماته. كان يعلم أن هذا الرجل يحمل أسراراً قد تغير مجرى التحقيق.

عند وصوله، وجد رجلاً مسناً يجلس
خلف مكتب خشبي قديم، عيناه غارقتان
في ذكريات الماضي.

- "أعْرِفْ لِمَذَا أتَيْتَ، لَقَدْ أخْبَرْنِي
فُرِيدِرِيكْ "

قال المحامي قبل أن ينطق دانيل بكلمة.

- "كنت أنتظر هذه اللحظة منذ سنوات."

وضع أمامه ملفاً مغبراً، فتحه دانيال بسرعة، وعيناه تراقبان السطور بدقة. كان تقريراً طبياً، يشير إلى أن ريتشارد نايتلي لم يمت من الطعنة مباشرة، بل تم نقله إلى المستشفى بناءً على أوامر الجدة. أصيب بشلل دائم، وكان في رعاية خاصة حتى اللحظة التي قررت فيها إنتهاء حياته بنفسها.

- "لقد كانت تخطط لكل شيء،"

تابع المحامي بصوت مرتفع.

- "أرادت تحويل غليس المسؤولية منذ البداية. جعلتها تعتقد أنها القاتلة، بينما هي من أنهى حياة ابنها عندما لم يعد له فائدة في مخططاتها."

أحس دانيال بالغضب يتصاعد داخله.
الجدة لم تكن فقط امرأة قاسية، بل
 مجرمة حقيقية. حمل الملف ونهض
 بعزم.

- "هل ستشهد بهذا أمام المحكمة؟"
نظر إليه المحامي لفترة طويلة، ثم أومأ
 برأسه.

"لقد عشت مع هذا الذنب طويلا حان
الوقت لتصحيح الأمور."

في تلك الأثناء، في القصر، فتحت غيلس
عينيهما ببطء. كانت والدته جالسة
 بجانبها تمسح جبينها بقطعة قماش
 مبللة.

- "Daniyal... أين هو؟"
سألت بصوت خافت.

ابتسمت الأم بطف.

- "خرج ليبحث عن الحقيقة، ليحميك."

أغمضت غليس عينيها، تشعر بمزاج من الخوف والأمل. ربما، هذه المرة، ستكتشف الحقيقة كاملاً، وستتحرر من الكابوس الذي طاردها لسنوات.

بعد لقائه مع مارك هاريس، المحامي السابق لجدة غليس، خرج دانيال من مكتبه وكأنه يحمل جبلًا على كتفيه. لم يكن التقرير الطبي وحده كافياً ليفجر غضبه، بل كل تلك الاعترافات التي أدلى بها هاريس عن أفعال الجدة، عن تلاعبها بالقانون، عن قتلها لابنها، عن

استغلالها لحياة غليس كأداة في لعبتها
القدرة.

قاد دانيال سيارته عائداً إلى القصر،
والغضب يشتعل في عروقه، لكنه لم يكن
غاضباً فحسب، كان يشعر بالعجز أيضاً.
ماذا سيفعل بكل هذه الحقيقة الآن؟
وكيف سيخبر غليس؟ هل ستتحمل وقع
الصدمة، وهي التي بالكاد استعادت
بعض الأمان في حياتها؟
عندما وصل إلى القصر، كان الصمت
يخيّم عليه بشكل غريب، لكن قلبه
انفاس بطيء مريّب. أسرع إلى
الداخل، بحث بنظره عن والدته، فوجدها
عند مدخل جناح غليس، وجهها يحمل
قلقاً شديداً.

- "Daniyal، غيلس ليست بخير..."

قالتھا بصوت خافت، وكأنھا تخشى أن تؤذیھا الكلمات.

دخل إلى غرفتها بسرعة، ليجدھا مساقية على السرير، شاحبة بشكل مخيف، أنفاسھا ثقيلة ومتقطعة، وجسدها يرتجف كمالاً و أنها تصارع شيئاً في حلمها. اقترب منها، وضع يده على جبينها، فوجدها مشتعلة بالحمى.

- "متى بدأت حالتها تسوء؟" سأله Daniyal بقلق.

- "منذ أن غادرت، كانت تهذي أثناء نومها، تتحدث عن ماضيها، عن والدھا، عن شيء يلاحقھا... حاولت أن أطمئنھا لكنھا لم تستيقظ بشكل كامل."

جلس بجانبها، أمسك بيدها الباردة،
وشعر بشيء ثقيل يضغط على صدره.
غليس كانت تتحطم أمامه، وربما
الحقيقة التي يحملها الآن ستكون القشة
التي تكسرها نهائياً.

اتصل بالطبيب على الفور، لكنه لم
يستطيع مجرد الانتظار. ظل ممسكاً
 بيدها، يمسح العرق عن جبينها، هامساً
 لها:

-أنا هنا، غليس... لن أدع شيئاً يؤذيك
بعد الآن."

لكنه كان يعلم أن الأذى قد وقع بالفعل،
 وأن الحرب لم تنته بعد.

-"فحص الطبيب لغليس"

أوما الطبيب برأسه بضميق وهو يعيّد
أدواته إلى حقيقته الطبية، ثم قال بالهجة
صارمة:

-"ألم أقل لكم إنها حاجة إلى الراحة
والعناية؟ حالتها ليست جسدية فقط، بل
نفسية أيضاً. الضغط العصبي الذي تمر
به يدمرها ببطء. الحمى نتيبة لأنها يار
جسدها بسبب الإرهاق والتوتر الشديد."

وقف دانيال عند حافة السرير، يراقب
وجه غليس الشاحب، بينما والدته بدت
قلقة أكثر من أي وقت مضى. سأل

الطبيب بجدية:

-"ما الذي يجب أن نفعله الآن؟ كيف
نحسن حالتها؟"

ته د الطيب وهو ينظر إلى غيلس، ثم أجاب:

-"أولاً، تحتاج إلى بيئة هادئة تماماً، لا مزيد من الصدمات، لا مزيد من الذكريات المؤلمة. ثانياً، يجب أن تتغذى جيداً، يبدو أنها فقدت الكثير من الوزن في الفترة الأخيرة. ثالثاً، وهذا الأهم، تحتاج إلى الاستقرار النفسي، أن تشعر أنها بأمان، وإنما جسدها لن يتعافي حتى لو عالجنا الأعراض."

نظر دانيال إلى غيلس مجدداً، يعلم جيداً أن الأمان الذي يتحدث عنه الطيب لن يتحقق طالما أن شبح الماضي ما زال يطاردها، وطالما أن الجدة ما زالت حرة، تتلاعب بالحقيقة كما يحلو لها.

شد قبضته وهو يقول:

"سأفعل كل ما يلزم."

ربّت الطبيب على كتفه وقال:

"جيد، لكن لا تنس أنك بحاجة للراحة أيضًا. لا يمكنني إنقاذهما إن كنت أنت نفسك على وشك الانهيار."

غادر الطبيب بعد أن ترك بعض التعليمات، بينما بقي دانيال بجانب غليس، يراقب أنفاسها المتعبة، ويعلم أن المعركة الحقيقية لم تبدأ بعد.

بعد فترة، استيقظت غليس ببطء، تشعر بضعف شديد وكأنها لا تزال عالقة في كابوسها. تطاعت حولها بعينين مرهقتين قبل أن تستقر نظراتها على دانيال، الذي كان جالسًا بجانيها، يراقبها بقلق.

بصوت خافت ومضطرب، قالت:

- "دانیال... جدتی كانت هنا."

شدّت الغطاء حولها كما لو كانت تحاول

حماية نفسها من شبحها، ثم تابعت:

- "لقد هددتني بحياتك إن لم أعد للعيش

معها."

صمتت للحظة، وكأنها اجتمع شتات

أفكارها، قبل أن تهمس بخوف:

- "لكن كيف عرفت أنني أخبرتك

بالحقيقة؟ كيف علمت؟"

كان دانيال يراقبها با بصمت، ملامحه

متمسكة رغم الغضب الذي بدأ يتصاعد

في داخله، مذ يده ليمسك يدها المرتجفة

بين راحتيه، وقال بحزم وهدوء:

- "غليس، لن تستطيع فعل شيء بعد الآن. لقد انتهى الأمر. لن تتمكن من قتلي، ولن تستطيع إيدائك مجدداً."

نظرت إليه، وكأنها تبحث في كلماته عن طمأنينة، عن يقين يبعد مخاوفها. لكن رغم ذلك، كانت تعلم أن جدتها لم تخسر بعد، وأن المواجهة الحقيقة لم تنتهِ تماماً.

عقد دانيال حاجبيه، وأخذ نفساً عميقاً قبل أن يقول:

- "أما عن كيف علمت... لقد زرعت جهاز تنصت في حقيبتك."

اتسعت عيناً غليس بصدمة، وضغطت على الغطاء بيديها، بينما أكمل دانيال بصوت هادئ لكنه مشوب بالغضب:

- "أعتقد أنها وضعته عندما بدأت تشكو في رغبتك بالبقاء معي بدلاً من الذهاب معها. كانت ت يريد معرفة كل كلمة قاتلها، كل سر كشفته لي."

وضعت غليس يدها على فمهما، تشعر بالرهبة من مدى سيطرة جدتها على حياتها. همست بارتباك:

- "إذن... كانت تسمع كل شيء؟"

أو ما دانيال ببطء، ثم نهض عن الكرسي، واتجه نحو سترته المعلقة، حيث أخرج منها شيئاً صغيراً بين أصابعه، ثم رفعه أمام عينيهما جهاز تنصت صغير.

- "لكن لا تقلقي،"

قال وهو يرمي أرضاً ويدهسه بحذائه،
محولاً إياه إلى شظايا بلا فائدة.

-"الآن، انتهى هذا الفصل من لعبتها."

شعرت غليس بقلبها ينبض بقوة، وكأنها تتحرر تدريجياً من قيود غير مرئية كانت تكبها طوال حياتها. لكن في أعماقها، كانت تعلم أن هذه ليست النهاية بعد... بل مجرد بداية لحرب أخرى.

حدّقت غليس في بقایا جهاز التنصت المكسور، وكأنها تحاول استيعاب الأمر. لم تصدق يوماً أن جدتها ستتمكن من الوصول إليها حتى في لحظاتها الأكثر خصوصية. كانت أنفاسها غير منتظمة،

ويداها لا تزالان ترتجفان من هول
الصدمة.

شعر دانيال بذلك، اقترب منها بهدوء
وجلس على طرف السرير، ثم مد يده
ولمس أصابعها برفق، متشاركاً معها
بلطف.

-"غليس، لا داعي للاذوف بعد الآن...
أنا هنا."

رفعت عينيهما ناحوه، نظراتها تحمل
خلطًا من الامتنان والاضطراب، وكأنهما
تبعد عن ملاده في عينيه الرماديتين
الثابتتين.

-"دانيال، ماذا لو لم تنته الأمور بعد؟
ماذا لو..."

وضع إصبعه على شفتيها ليمنعها من إكمال كلامها، ثم انحنى قليلاً وهمس قرب أذنها:

-"كفى، لا تفكري في ذلك الآن. لقد مررت بالكثير الآية، وأنت تحتاجين للراحة."

لكرها لم تستطع منع نفسها من التعلق بهذه اللحظة، بالدفء الذي ينقله لها دون كلمات.

سحبت يدها من قبضته، فقط لتضعها على خده، وكأنها تريد أن تتأكد أنه حقيقي، أنه ليس مجرد وهم في عالمها المليء بالخداع.

-"أنت أول شخص أشعر معه بالأمان، دانيال."

لم يجب، فقط نظر إليها مطولاً، ثم فجأة،
طبع قبالة ناعمة على جبينها، ببطء،
وكانها وعد غير منطوق بأنه لن يسمح
لأحد بإيذائها بعد الآن.

-"نامي، يا عزيزة."

قالها بابتسامة خفيفة، ثم وقف متوجهًا
نحو الباب، لكنه توقف للحظة ونظر
إليها مجددًا، عيناه تحملان شيئاً مختلفاً
هذه المرة شعوراً لم يجرؤ على
الاعتراف به بعد.

-"أنا لن أدعكِ تواجهين هذا وحدك،
غليس... تذكرني ذلك دائمًا."

ثم غادر الغرفة، تاركاً خلفه قلبها ينبض
بطريقة لم تخبرها من قبل.

في الصباح الباكر، اسْتَيقظت غِيَّس
على ضوء الشمس المتسلل عبر ستائر
النافذة، لكن إحساساً غريباً بالخوف ما
زال يحيط بها، كما لو أن ظلال الليل
الماضية لم تغادر عقابها بعد. جلست
على السرير، شعرت بصداع خفيف،
ورأت كوباما من الماء وجبة دواء
بجانبها، مع ملاحظة صغيرة بخطيد

دانیال:

- "تزاولي هذا، طبیب اک قال انه
سیساعدک. سأكون في المكتب إن
احتجت إلى".

حملت الورقة بين أصابعها، لا إرادياً
ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتيها.
لم تكن معتادة على أن يهتم بها أحد،

ناهيك عن شخص مثل دانيال، الذي كان يبدو دائمًا قويًا وهادئًا.

لكن هذا الهدوء لم يدم طويلاً، فطرق الباب فجأة جعلها تتفض في مكانها. ترددت لحظة قبل أن تنهض وتفتحه بحذر. وجدت أمامها والدة دانيال، بنظراتها الدافئة التي لم تألفها غليس من قبل.

- صباح الخير، صغيرتي. كيف حالك الآن؟

سألتها باطف وهي تدخل الغرفة دون انتظار إذن.

تراجعت غليس قليلاً، غير معتادة على هذا النوع من الحنان.

- أنا... بخير، شكرًا لك.

ابتسمت السيدة بطف وجلست على الكرسي القريب.

- "دانيال أخبرني بكل شيء. أنتِ لست وحدكِ بعد الآن، غليس. هنا، يمكنكِ أن تشعري بالأمان."

كانت كلماتها تحمل دفناً غريباً، دفناً كاد أن يكسر الجدار الذي بنثهُ غليس حول قلبها.

شعرت بحلوها يجف، وكأنها على وشك البكاء، لكنها ابتعلت مشاعرها وأومنأت برأسها بصمت.

- "تعالي، سأعد لكِ الفطور."

قالتها الأم بحنان وهي تمسك بيدها، وكأنها تريد أن تنتشلها من الظلم الذي عاشت فيه طويلاً.

في هذه الأثناء، كان دانيال في مكتبه،
يجاس أمام مارك هاريس، المحامي
السابق لجده،

-"هذا هو الملف الكامل الذي أمرتني
جده بإخفائه منذ سنوات."

قالها بصوت متوتر وهو يضع الملف
 أمام دانيال.

فتح دانيال الملف بسرعة، وعيناه
تجولان بين السطور، قبل أن يتسع
بؤبؤاه بصدمة.

-"هذا مستحيل..." همس لنفسه.
نظر إلى مارك، الذي كان يراقبه بقلق،
وسأله بحزن:

-"هل أنت متأكد من أن هذا صحيح؟"
أومأ المحامي برأسه.

- "نعم، هذا التقرير يثبت أن إلينور
وراء كل ما حصل.".

رفع دانيال عينيه نحوه، عقله يربط بين التفاصيل بسرعة

جَدَّةُ غَيْلِسْ لَمْ تَكُنْ تَحَاوُلْ فَقَطْ التَّلَاعِبْ
بِمُصَرِّيْرِ حَفِيدَتِهَا، بِلْ كَانَتْ مُسْتَعِدَةً
لِلتَّضْحِيَةِ بِأَيِّ شَخْصٍ مِنْ أَجْلِ مَصَالِحِهَا.

رفع عينيه نحو مارك، الذي جلس أمامه
بتوتر واضح، وكأنه يتوقع رد فعل

- "أخبرني بكل شيء، مارك. لا مزيد من الأسرار."

قال دانيال بصوت هادئ لکنه يحمل تحذيرًا واضحًا.

ته د مارك وألقى نظرة خاطفة على الباب، وكأنه يخشى أن يكون هناك من يستمع، ثم قال:

-"المرأة التي تتعامل معها ليست فقط متلاعبة، بل مجرمة حقيقية. لقد قامت بالخلاص من كل من وقف في طريقها، وغليس كانت مجرد أداة بالنسبة لها.

بعد أن فشل والدها في تحقيق ما أرادته، قررت استخدام ابنته كطعم لمخططاتها.

حتى أني سمعتها تقول ذات مرة: 'إن لم تستطع أن تكون مفيدة لي، فسأجعلها عبرة للجميع'."

شعر دانيال بالغضب يتصاعد داخله، لكنه كجهه بصعوبة. كان عليه أن يبقى

هادئاً، أن يفكر بوضوح. نظر إلى مارك
وأسأله:

- "لماذا تقرر التحدث الآن؟ بعد كل هذه
السنوات؟"

أخفض الم Hammami نظره، وكأنه يحمل عبئاً
ثقيلاً.

- "لأنني لم أعد أتحمل العيش بهذا
الذنب. أخفيت الحقيقة طويلاً، لكن رؤية
غليس تعاني بسبب شيء لم تفعله...
جعلني أدرك أن الوقت قد حان لتصحيح
خطئي."

أومأ دانيال ببطء، ثم وقف.

- "شكراً لك، مارك. يمكنك المغادرة لكن
هذه ليست النهاية... هذه مجرد البداية."

في القصر، كانت غليس تجلس في الحديقة، تحاول استنشاق بعض الهواء النقي، لكن عقلها كان مشوشًا. وجودها هنا، بين أشخاص يعاملونها بلطف، كان أمراً غريباً عليها. لم تعتد على ذلك، لم تعرف كيف تتقبله.

فجأة، سمعت خطوات تقترب، ولم تكن بحاجة إلى الالتفات لتعرف أنه دانيال. جلس بجانبها بصمت، ثم قال بهدوء:

-"كيف حالك الآن؟"

نظرت إليه بعينين تحملان خليطاً من المشاعر، ثم تمنت:

-"لا أعرف... أشعر أنني محاصرة بين ماضٍ لا أريد أن أتذكره، وحاضر لا أعرف كيف أتعامل معه."

ابتسم دانيال بخفة، ثم مد يده ولمس يدها برفق، أصابعه تتشابك مع أصابعها.

"لست وحدي، غليس. لن تكوني وحدي بعد الآن."

شعرت بقلبها ينبعض بسرعة، ليس من الخوف، بل من شيء آخر... شيء لم تعتد عليه.

الثقة. الأمان و الحب.

لكن وسط كل ذلك، كان هناك شعور آخر يلوح في الأفق... المعركة لم تنتهِ بعد، بل بالكاف بدأ.

سحبت غليس يدها ببطء، وتردد واضح في عينيها، ثم قالت بصوت خافت:

- "Daniyal، هناك شيء آخر يجب أن أخبرك به."

نظر إليها Daniyal باهتمام، لكنه أجاب:

- "وأنا أيضًا، غليس. لدى ما أريد قوله لك."

ترددت لحظة، ثم قالت:

- "حسناً، أخبرني أنت أولاً."

ابتسم Daniyal بخفة وهز رأسه:

- "لا، أنت من ستخبريني أولاً."

أخذت نفساً عميقاً، ثم قالت:

- "أنت تعلم أنني جئت إلى هنا للعمل،
لكن هل سألت نفسك يوماً ما هو هذا
العمل؟"

أومأ Daniyal برأسه وقال:

- "نعم، لقد استغربت الأمر. تعيشين في قصر، وتقودين سيارة فاخرة، ومع ذلك اخترت العمل في مقهى! كان ذلك مثيراً، لكنني لم أشأ أن أسألك، أردت أن تخبريني بنفسك."

تهدت غليس، ثم نظرت إليه بعينين تحملان مزيجاً من القلق والحزن:

- "حان الوقت لأخبرك، دانيال. منذ وفاة والدي، هناك شخص يهددني بمخاوفه، ولم أجده طريقة لإسكاته سوى المال. اضطررت للعمل لأن جدتي لم تكن تعطي المال دون مقابل، وهو حذري من أن أخبرها بأي شيء."

نظر دانيال إليها بصدمة واضحة،
محاولاً استيعاب ما قالته، ثم سأله
بصوت هادئ لكنه حازم:
- "غليس، من هذا الشخص؟ وما الذي
يهددك به؟"

خفضت غليس عينيها للحظات، ثم رفعت
رأسها وقالت بصوت مرتجم:
- "لا أعرف اسمه الحقيقـي... لكنـه كان
دائماً يتصل بي ويتركـني في حالة من
الرعب. كان يعلم كل شيء عنـي، عنـ
أماكنـي، حتى عنـ الأشخاص الذين
أراهم. بعد وفـاة والـدي، بدأ يرسل لي
رسائل تهـيدـي، يذكرـني بكل مخـاوفـي،
وكـأنـي لـعـبة في يـدـهـ. لم يكن يـطلب سـوىـ

المال، ولم يكن أمامي خيار سوى
إعطائه ما يريد."

تشددت ملامح دانيال وهو يحاول ضبط
أعصابه.

-"وهل كنت تدفعين له طوال هذه
المدة؟"

هزت رأسها بالإيجاب.

-"في كل مرة كنت أعتقد أنه سيفتكفي،
لكنه يعود للمطالبة بالمزيد. لم أكن
أستطيع إخبار جدتي، فأنا أعرف أنها لن
تهتم. كانت ستستخدم هذا ضدي بدلاً من
أن تساعدني."

صمت دانيال لوهلة، ثم قال بثقة:

- "غليس، لن تواجهي هذا وحدك بعد الآن. سـنـعـرـفـ مـنـهـ وـ هـذـاـ الشـخـصـ، وـسـنـضـعـ حـدـاـ لـهـذـاـ الـابـتزـازـ."

- "وـكـيفـ سـنـفـعـ ذـلـكـ؟"

ابتسم دانيال ابتسامة جانبية، تلك الابتسامة التي تحمل بين طياتها خطوة واضحة.

- "لـديـ بـعـضـ الـأـفـكـارـ، لـكـنـ أـوـلـاـ، عـلـيـكـ أـنـ تـثـقـيـ بـيـ تـمـامـاـ. هـلـ يـمـكـنـكـ فـعـلـ ذـلـكـ؟"

نظرت إليه غليس بتمعن، كانت تعلم أن الثقة ليست أمراً سهلاً بالنسبة لها، لكنها شعرت بشيء مختلف مع دانيال. ببطء، أو مأت برأسها وقالت بصوت هادئ:

- "نعم، أثق بك."

اقرب دانيال أكثر، أمسك بيدها بين يديه، وقال بلطف:

- "إذن، لنبدأ بيقاعه في فخه الخاص."

نظرت إليه غليس بتردد ثم قالت

- "أنا أعرف مكانه، دانيال. أعرف أين يسكن... لقد ذهبت إلى هناك من قبل."

رفع دانيال حاجبيه بدشة، ثم شدّ قبضته على يدها دون أن يشعر.

- "أنت... ذهبت إلى هناك؟ متى؟ ولماذا

"لم تخبريني بذلك من قبل؟"

تنفست غليس بعمق، ثم نظرت إليه بعيينين مليئتين بالقلق.

- "كنت يائسة، دانيال. أردت إنهاء هذا الكابوس بنفسي. ذهبت إلى منزله على أمل أن أتوسل إليه ليتوقف عن

تهديدي... لكنني أدركت سريعاً أنه لن يتوقف أبداً."

تراجع دانيال قليلاً، محاولاً السيطرة على الغضب الذي بدأ يتصاعد داخله.

"ماذا حدث هناك؟ هل آذاك؟"

هزّت رأسها سريعاً.

"لا، لم يؤذني جسدياً، لكنه كان يعلم أنني سأتي. كأنه كان ينتظري. أخبرني أنني لا أملك خياراً، وأنه دائمًا سيكون في الظل، يراقبني، وأن أي محاولة للهرب ستكون مجرد عبث."

شعر دانيال بانقباض في صدره، لكنه أخفى توتره، ثم قال بثبات:

- "غیل، سننهی هذا الأمر. أعرف
كيف نتصرف، لكن يجب أن نكون
حذرين."

نظرت إلیه پترقب

- "ماذا سنفعل؟"

نظر إليها مباشرة، ثم قال بحزم:

- "سَذْهَبَ إِلَى هُنَاكَ مَعًا، لَكِنْ هَذِهِ
الْمَرَّةُ... لَنْ تَكُونِي وَحْدَكَ." ١

مَذْيَدَهُ نَحْوَهَا، وَكَأْنَهُ يُعَرِّضُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ
مِنْ مُجْرِدِ الْمَسَاعِدَةِ... يُعَرِّضُ عَلَيْهَا
الْآمَانَ، وَالثَّقَةَ، وَالْوَعْدَ بِأَنَّهُ لَنْ يَتَرَكَهَا
تَوَاجِهَهُ هَذَا الْكَابُوسُ وَحْدَهَا. أَقَامَهَا
وَتَوَجَّهَهَا مَعًا إِلَى مَنْزِلِ ذَلِكَ الرَّجُلِ.

عندما واجهت غليس الحقيقة توقفاً أمام
الباب، وبدون تردد، طرقت غليس عدة

مرات. انتظرت لحظات، لكن لا أحد أجاب. تبادلت نظرات قلقة مع دانيال، الذي لم يتردد في اتخاذ قراره.

"ابتعدي."

قال بصوت حازم قبل أن يوجه ركلة قوية إلى الباب، محطمًا القفل بسهولة. انفتح الباب ببطء، ومعه انطلاقة رائحة كريهة جعلتهما يتراجعان خطوة إلى الخلف.

غطت غليس أنفها بكفها بسرعة، بينما عقد دانيال حاجبيه متوجسًا.

دخلوا بحذر، وعيناهما تجولان في المكان. لم يكن هناك شئ... الرجل الذي كان يهدد غليس، الذي جعلها تعيش في خوف مستمر، كان جثة هامدة أمامهما.

تمالك دانيال نفسه، وأخرج هاتفه ليبلغ الشرطة. خلال دقائق، وصل الفريق الأمني، وتقى دم أحد الضباط نحوه بخطوات واثقة قبل أن يؤدي التحية قائلا باحترام:

-"المحقق دانيال، لم نكن نتوقع رؤيتك هنا."

اتسعت عينا غليس في صدمة، وشعرت كأن الأرض تنسحب من تحت قدميها. حدقت في دانيال الذي وقف بثبات، لكن نظراته كانت قلقة وهو يراقبها.

-"محقق؟!"

همست بصوت متحشرج، وكأن الكلمة لم تستوعبها بعد.

استدارت نحوه، عيناهَا تحملان ألف سؤال، لكن أكثر ما شعرت به كان الغدر.

- "لقد كنت تكذب علي؟! ألم تقل أنك مجرد شرطي مرور؟!"
ضغط دانيال شفتيه للحظة، ثم تهد قائلاً بصوت هادئ:

- "لم أكذب عليكِ، غيلس... لكنني لم أخبركِ الحقيقة كاملةٍ."
ارتجمت أنفاسها وهي تراقبه بذهول.

- "إذن كنت تراقبني؟ كنت تتلاعب بي طوال هذا الوقت؟"

مد يده نحوها ليهدئها لكنها تراجعت خطوة للخلف، ترفض أي اقتراب منه.

- "غيلس، اسمعني..."

لأنها لم تكن قادرة على الاستماع. في تلك اللحظة، شعرت أن كل شيء كان وهمًا، وأنها عادت مجددًا إلى دائرة الخداع، حيث لا يمكنها الوثوق بأحد.

أشار دانيال للشرطي بأن يبتعد، ثم أمسك بيده غليس بسرعة قبل أن تهرب، وعيناه تلمعان بإصرار.

-"لا يمكنك الذهاب، غليس. الشرطة ستطلب إفادتنا، وعليك البقاء هنا."

حاولت سحب يدها، لكن قبضته كانت قوية بما يكفي لابقائها في مكانها دون أن يوعلها. نظرت إليه بغضب وارتباك، لكن صوته أهداها أجبرها على الاستماع.

-"لن تخبريهم بشيء، سأهتم بالأمر."

ترددت، قلبها يخبرها أن تثق به، لكن عقلها يصرخ بأنها وقعت في فخ آخر.

نظر دانيال إلى عينيهما مباشرة وقال بصوت خافت لكنه قاطع: "أعرف أنك غاضبة، وأعرف أنني خذلتكم بطريقة ما، لكن هذا ليس الوقت المناسب للشك. هناك جثة فيها هذا المكان، والموقف أكثر تعقيداً مما تظنين."

كانت أنفاسها متضارعة، والمشاعر تتزاحم داخلها. أخيراً، حركت رأسها ببطء، علامة على موافقتها، لكنها لم تقل شيئاً.

ترك يدها ببطء، وكأنه يخشى أن تهرب، ثم التفت إلى الشرطي الذي كان يراقبهما من بعيد.

- "سأدلي بشهادتي أولاً."

بينما انشغل دانيال مع الشرطة، ظلت غليس واقفة، تحاول استيعاب ما يحدث. لكن وسط كل هذا الفوضى، لم تستطع التخلص من شعور غريب... وكأن هذا الموت لم يكن مجرد صدفة.

لاحظت غليس خروج دانيال من قسم الشرطة بعد أن أدلى بشهادته. لم تستطع إلا انتظار أكثر، فركضت نحوه بسرعة، وصوتها يعلو بانفعال:

- "Daniyal! إنها جدتي!"

بسرعة خاطفة، وقبل أن تكمل، أغلق دانيال فمه بكفه، وعيناه تتفقدان المكان بحذر.

همس بنبرة حادة:

- "هل جنت؟ لا تصرخي بذلك هنا!"

كانت عيناهَا تلمعان بالخوف والإصرار،
لكنها لم تستطع التحرر من قبضته.

اقرب منها أكثر، صوته بالكاد مسموع:

- "هل لديك دليل على ذلك؟"

هزت رأسها بعنف، فأرخى قبضته عنها،
لكنها لم تنتظر إذنه للكلام.

- "دانيال، هذا الرجل لم يكن ليقتل نفسه.
لقد كانت تراقبني طوال الوقت، تعلم
أنني سأبحث عنه! ربما قتله لأنه كان
يهددها أو كان يعلم شيئاً عنها."

تهجد دانيال، يحاول السيطرة على التوتر
الذي بدأ يتراكم داخله. كلما تعمق أكثر
في هذه القضية، ازدادت تعقيداً.

- "غليس، هذا مجرد افتراء. نحن

بحاجة إلى دليل، وإلا فلن يصدقنا أحد."

لأنها لم تكن تستمع، كانت أنفاسها

متتسارعة، عقلها يعمل بجنون، ثم فجأة

تذكرة شيئاً.

وضعت يدها على جبينها، وكأنها تحاول

ترتيب أفكارها.

- "كان لديه دفتر! كان يكتب كل شيء

فيه! رأيته مرة، لكنه لم يسمح لي

بقراءته. إذا وجدناه، قد يكون فيه ما

نحتاجه!"

نظر إليها دانيال بجدية، ثم أخرج

مفكرته وسجل المعلومة بسرعة.

- " علينا العودة إلى هناك. إن كان الدفتر موجوداً، فلا بد أن نجد شيئاً يقودنا إلى الحقيقة."

لكن قبل أن يتحركا، رن هاتف دانيال. نظر إلى الرقم، فتجمد وجهه للحظة قبل أن يرفع الهاتف إلى أذنه.

- "Daniyal Kiren يتحدث."

جاءه صوت هادئ لكنه يحمل نبرة تهديد خفية:

- "المحقق كiren... أظن أنك تحفر في مكان ليس من شأنك."

بادل دانيال غليس نظرة سريعة، إحساس خطر يجتاحه. ضغط على الهاتف بقوة، وقال بصوت ثابت:

- "ومن المتحدث؟"

ضحكه خافتة على الطرف الآخر، ثم

همس الصوت:

-"الوقت ينفذ، كيرن. لبعض الأسرار
ثمن باهظ... وأنت على وشك أن
تدفعه."

انتهت المكالمة، لكن الصمت الذي تبعها
كان أكثر رعباً من أي تهديد.

خفض دانيال هاتفه ببطء، وأخذ نفساً عميقاً محاولاً تهدئة دقات قلبه المتسارعة. نظر إلى غليس التي كانت تراقبه بقلق، وبدون أن تحتاج إلى سؤاله، عرفت أن الأمور أصبحت أكثر خطورة.

-"من كان على الهاتف؟"

سألت بصوت خافت، وكأنها تخشى الإجابة، تردد دانيال لحظة، لكنه قرر ألا يخفي عنها الأمر.

- "شخص لا يريد لنا أن نستقر في البحث."

- "ماذا قال؟"

نظر إليها بجدية وقال:

- "قال إن الوقت ينفذ، وإننا سندفع ثمن الحقيقة."

ابتلعت غليس ريقها بصعوبة، وشعرت بقشعريرة تسري في جسدها. لم يكن هذا مجرد تهديد عابر، بل رسالة واضحة بأنهما اقتربا كثيراً من شيء خطير.

- " علينا العودة إلى منزل ذلك الرجل،"

قالت بحزن، محاولاً إخفاء خوفها.

-إذا كان هناك دليل، فعلينا العثور عليه قبل أن يختفي."

أو ما دانيال موافقاً.

-لكننا لن نذهب وحدهنا. ستحتاج إلى دعم."

"من تقصد؟"

نظر إليها بثقة وقال:

"شخص أثق به."

بعد ساعة، كان يقفان في شارع مظلم، أمام مبنى قديم يجاور منزل الرجل المقتول.

وقف دانيال بجوار سيارته، ينظر إلى ساعته بين الحين والآخر. ثم أخيراً،

ظهرت سيارة سوداء، توقفت أمامهما، ونزل منها رجل طويل القامة، يرتدي معطفاً داكناً ونظاراته باردة.

-"كيرن، لم أتوقع أن أسمع منك بهذه السرعة." قال الرجل بصوت خشن.

-"لأنني بحاجة إلى شخص أثق به، جايسون."

كان جايسون زميل دانيال السابق في الشرطة، رجل متمرس في التحقيقات السرية، ترك الخدمة بعد قضية فساد كبيرة. لم يكن من النوع الذي يتعامل مع الأمور بعاطفة، لكنه كان يعرف كيف يحصل على المعلومات.

-"إذن، ما الذي ورطت نفسك فيه هذه المرة؟"

سأَلْ جَائِسُونْ، عَاقِدًا ذَرَاعِيهِ.

الآن دانيال نظره على غليس، ثم عاد
بعينيه إلى جايسون وقال:

-. قضية قد تكون أكبر مما نعتقد.
وأحتاج إلى مساعدتك.

چاپسون تنہد ثم قال باتسامة ساخرة:

- "حسناً، لنرى إلى أي مدى سنغرق هذه المرة."

ثم اتجهوا جميعاً نحو منزل الرجل المقتول، دون أن يدركون أن هناك من يراقبهم من بعيد، مختبئاً في الظلام، ينْتَظِرُ اللحظة المناسبة للتحرك... .

تقى دم الثلائة نحو المنزل بحذر، لكن
Daniyal كان يشعر بأن الأمور ليست على
ما يرام.

توقف فجأة وأشار لجايسون وغليس بالترابع.

- "هناك أحد بالداخل."

همس دانيال، عينيه تراقبان الباب نصف المفتوح.

جايسون أخرج مسدسه على الفور، بينما اتشبثت غليس بمكانها، تحاول السيطرة على توترها. ببطء، اقترب دانيال ودفع الباب بحذر، ليجد رجلا ملثماً يبحث في المكان بعجلة. ما إن رآهم، حتى قفز من النافذة الخلفية، لكن جايسون كان أسرع.

- "توقف!" صرخ وهو يطارده خارجاً.

أما دانيال، فاندفع إلى الداخل، بحثاً عن أي دليل قبل أن يُمحى أثره. غليس تبعته

بسرعة، وفجأة، رأت شيئاً يلمع أسفل الأريكة. انحنت وساحت صندوقاً صغيراً مغرباً.

- "دانيل، انظر إلى هذا!"

فتح دانيال الصندوق بسرعة، ليجد داخله مستندات وأوراق بنكية، لكن أكثر ما أثار رعبه كان صورة قديمة لرجل يعرفه جيداً... والد غليس، واقفاً بجانب جدتها، يوقع على مستند رسمي.

- "يا إلهي..." تتمم دانيال.

- "ما هذا؟" سالت غليس بقلق.

و قبل أن يجيب، سمعا صوت طلاق ناري بالخارج، تلاه صرخة مكتومة. ركض دانيال فوراً، ليجد جايسون واقفاً فوق

الرجل الملثم الذي كان يطارده، والدماء تسيل من كتفه.

- "أمسكته، لكن حاول المقاومة." قال جايسون وهو يثبت الرجل.

تقدم دانيال ببطء نحو الرجل الملثم الذي كان يئن من الألم بعد إصابته. انحنى فوقه وسحب القناع عنه بقوة، ليكشف عن وجه مألف، لكن ليس كما توقع تماماً.

كان الرجل أحد حراس جدة غليس الشخصيين، شخصاً كانت تثق به دائماً. حدق فيه دانيال لثوانٍ، ثم قال بصوت هادئ لكنه محمل بالغضب:

- "من أرسلك؟"

الرجل تفادي النظر في عينيه، لكنه تم تم
بصوت ضعيف:

"أنتما لا تعرفان مع من تعثان..."

غليس شعرت ببرودة تجتاح جسدها،
اقربت أكثر وقالت بصوت مرتجف:

"جدتي، أليس كذلك؟ أرسلتاك لتنظر
فوضاها؟"

ابتسم الرجل ابتسامة ساخرة رغم الماء،
ثم قال:

"هل تعتقدين أنها استسماح لكم
بالاقتراب أكثر؟ لقد تجاوزتما الحد،
والآن... ستدفعان الثمن."

قبل أن يرد دانيال، سمعوا صوت
حركات سيارات تقترب بسرعة. أطلق

جايرون شتيمة وهو ينظر إلى الشارع،

ثم قال:

- "لدينا مشكلة. لا وقت للاستجواب

الآن، علينا التحرك!"

دانيال أمسك بيده غليس، وسحبها

بسرعة وهو يقول:

- "لن ندعها تتحكم بنا بعد الآن.

سنواجهها."

لكن غليس، رغم خوفها، توقفت للحظة

ونظرت إلى الرجل المطروح أرضاً، ثم

همست بصوت بالكاد يُسمع:

- "لن أهرب بعد الآن."

دانيال شد على يدها، ثم قال بحزم:

- "إذاً لننهي هذه اللعبة، مرة واحدة

وإلى الأبد."

المعركة الأخيرة بدأت، ولا مجال للتراجع.

بينما كان دانيال يسحب غليس بسرعة نحو السيارة، اقتربت السيارات القادمة وتوقفت فجأة أمام المنزل. خرج منها رجال بملابس سوداء، وعلى رأسهم شخص لم يكن غريبًا على غليس، مارك هاريس، المحامي السابق لجدتها.

نظر إليهما مارك بعينين متربّتين، ثم رفع يديه في إشارة لعدم وجود نوايا عدائية.

- "Daniyal، غليس... لا وقت للشرح، لكن

عليكم الرحيل الآن!"

Daniyal لم يخف ارتياقه، فأمسك بمسدسه بحذر.

- "لماذا قد نشق بك؟ ألم تكن تعمل
لصالحها؟"

مارك أطلق تنهيدة، ثم قال بصوت ثابت:
- "كنت أعمل لها، لكن ليس بعد الآن.
أنتما أقرب للة بض عليهما ماما تظنان،
لكنها أيضًا أقرب من التخلص منكم. لقد
أمرت بقتلكما الليلة."

- "ماذا؟!" شهقت غليس، بينما تبادل
دانيال نظرة سريعة مع جايسون.

مارك تقدم خطوة وقال بجدية:
- "ليس أمامكم ما سوى خيار واحد،
الهجوم قبل أن تهجم هي."

دانيال كان مستعدًا لمواجهة جدتها منذ
البداية، لكن سمع مدى خطورة الوضع
جعله يدرك أن هذه ليست مجرد معركة

قانونية، هذه حرب. نظر إلى غليس، التي كانت عيناهما تلمعان بالخوف والتصميم في آنٍ واحد، ثم قال بحزم:
- "إذا كانت هذه هي النهاية... فلنذهبها بشروطنا."

بعد ساعة، كان دانيال وغليس يقفان أمام القصر الضخم، حيث بدأت القصة كلها. هذه المرة، لم يكونا خائفين أو متربدين. هذه المرة، كانوا مستعدين لإنهاء كل شيء.

عند مدخل القصر، كانت الجدة واقفة، تنتظرهما بابتسامة باردة، وكأنها توقعت قدومهما.

- "كم أنا فخورة بكما،"

قالت بصوت ناعم مليء بالسم.

-"لكن للأسف، هذه هي نهايتكما."

مالم تكن تعلمـه... هو أن هذه النهاية ستكون لها، وليس لهما.

داخل القصر، حيث تحاك المؤامرات وتنتهي المصائر، كانت المواجهة الأخيرة تقترب.

تقدم دانيال خطوة نحو الجدة، ملامحه جامدة، وعيوناه تلتمعان بحدة، بينما غليس وقفت بجانبه، يدها مشدودة إلى قبضته، وكأنها تستمد منه القوة.

-"لم لا تنهي هذا سريعا؟"

قال دانيال بصوت بارد، وهو يراقب رجال الحراسة المترافقين خلف العجوز.

ابتسمت الجدة ابتسامة مقيمة وأجابت:

- "لقد تأخرت يا فتى، كان عليك أن تبقى بعيداً عن هذه الفوضى."

لكن دانيال لم يكن ذلك الشخص الذي يتراجع، لم يكن ذلك الذي يخضع للتهديد.

في تلك الحظة، انفتح الباب الخلفي للقصر، واندفع رجال الشرطة إلى الداخل، بقيادة مارك هاريس.

- "أنتِ من تأخرتِ، سيدتي."

قال مارك، وهو يلوح ببعض الأوراق الرسمية.

- "لدينا أدلة كافية على جرائمكِ، وأمر قضائي بالقبض عليكِ."

اتسعت عينا الجدة، لحظة فقط، قبل أن تتماسك مجدداً.

- "أوه، كم أنتم سُذج. أحقاً تعتقدون أنني لم أكن مستعدة لهذا؟"

بإشارة واحدة منها، سحب رجالها أسلحتهم، لكن قبل أن يتمكنوا من التحرك، انطلقت طلقات تحذيرية في الهواء من الشرطة، أجبرتهم على التراجع.

غليس، التي كانت تراقب المشهد بصدمة، همست:

- "انتهى الأمر..."

لكن الجدة استدارت نحوها، نظرة من الغضب والاحتقار تشتعل في عينيها.

- "لا يا صغيرتي، الأمر لم ينته بعد."

وبحركة مفاجئة، سحبت سكينًا مخبأً تحت ردائها، وانقضت نحو غليس ، لكن دانيال كان أسرع.

بلمح البصر، أوقف يدها وأدارها بعنف، ليسقط السكين بعيدًا. ألقى الشرطة القبض عليها فورًا، بينما كانت تهمس بكلمات غير مفهومة، وكأنها ترفض تصديق ما يحدث.

-"هذه هي النهاية التي صنعتها بنفسك.".

قال دانيال، وهو يراقبهم يقتادونها بعيدًا. غليس لم تقل شيئاً، فقط شعرت بثقل يُرفع عن صدرها. أخيرًا، بعد كل هذا العذاب، كانت حرة.

نظرت إلى دانيال، الذي كان يحذق بها

بدوره، ثم تمت بابتسامة ضعيفة:

- "هل... هل انتهى الأمر حقا؟"

Daniyal، رغم كل شيء، ابتسم.

- "نعم، غيلس. لقد انتهى."

بعد أيام من سقوط الجدة، كان كل شيء

يسير بسرعة غريبة. التحقيقات،

المحاكمات، والضجة الإعلامية التي

صاحب سقوط واحدة من أكثر النساء

نفوذاً.

غيلس كانت تشاهد الأخبار بصمت، لا

ترزال غير مصدقة لما حصلت. كانت طوال

حياتها تظن أن لا شيء يمكن أن يقف

في طريق جدتها، لكنها الآن... خلف

القضبان.

- "بماذا تفكرين؟"

جاء صوت دانيال من خلفها، وهو يضع
كوب قهوة على الطاولة أمامها.
نظرت إليه بابتسامة خفيفة.

- "لا أعلم... أشعر أنني عالقة بين
الماضي والمستقبل."

جلس بجانبها، متوكلاً بمرفقه على
الأريكة.

- "الماضي انتهى، والمستقبل... لديك
حرية اختياره الآن."

تأملت كلامه، ثم نظرت إليه بعينين
مترددين.

- "وماذا عنك؟ ماذا ستفعل بعد كل هذا؟"
ابتسم دانيال بسخرية خفيفة.

- "لا أدرى... ربما سأعود لعمالي
كشرطٍ مرور؟"

ضحكَتْ غليس، لأول مُرَّةٍ مِنْ ذُفَرَةٍ طويَّةٍ. شعرتْ أنْ شَيئاً ثقيراً يُرْفعُ عنْ قَابِهَا، كأنَّهَا تُسْتَعِدُ جزءاً مِنْ نَفْسِهَا التي ضاعتْ بَيْنَ الخوفِ والمعاناة.

رنَّ هَاتَفُ دَانِيَال فجأةً، فَقَطْعَ لحظَةٍ الهدوء بينَهُ وبينَ غليس. أخرجَ الهَاتَفَ مِنْ جَيْبِهِ ونظرَ إِلَى الاسمِ الَّذِي يَظْهُرُ عَلَى الشَّاشَةِ، ثُمَّ أَجَابَ بِنَبْرَةٍ جادَةً:

"نعم؟"

صمتَ لِلحظَاتِ وَهُوَ يَسْتَمِعُ، ثُمَّ تَغَيَّرَتْ ملامحُهِ إِلَى توتَرٍ واضحٍ.

- "ماذَا؟ كيْفَ حَدَثَ ذَلِكَ؟ حَسَنًا، سأكونُ هنَاكَ حَالًا."

أغلق الهاتف بسرعة ونهض من مكانه.
نظرت إليه غليس بقلق، قلبها ينبعض
بسرعة.

- "دانيل، ماذا هناك؟"

تردد لحظة، لكنه قرر ألا يخفي عنها
الحقيقة.

- "مارك هاريس... المحامي السابق
لجدتك. لقد اختفى."

اتسعت عيناهَا في صدمة.

- "ماذا تقصد باختفى؟"

- "اختطف، أو على الأقل هذا ما يبدو
عليه الأمر."

شعرت غليس ببرودة تسري في
أوصالها. كانت تعتقد أن كل شيء انتهى

بسقوط جذتها، لكن يبدو أن هناك خيوطاً أخرى لم تقطع بعد.

نظرت إلى دانيال بعيون ملائكة بالخوف، لكنها لم تكن مستعدة للهروب هذه المرة.

"أنا آتية معك."

تردد دانيال لوهلة، لكنه في النهاية أومأ برأسه.

"حسناً، لكن ابقي قريبة مني، هذه المرة لن أخاطر بفقدانك."

لم تكن تعلم إلى أين ستقودهما هذه الخطوة، لكن ما كانت متأكدة منه أن هذه لم تكن النهاية... بل بداية فصل جديد من الصراع.

قاد دانيال سيارته بسرعة عبر الشوارع المظلمة، بينما جلست غليس بجانبه، تعض شفتيها بتوتر. كان عقلاها يعمل بسرعة، تحاول ربط الأحداث ببعضها.

-"من قد يريد خطف مارك؟ هل تعتقد أن..."

-"نعم، شخص ما لا يريد للحقيقة أن تخرج."

قاطعها دانيال، وكانت عيناه مثبتتين على الطريق.

-"جدى قد تكون خلف هذا، حتى وهي في قبضة الشرطة لا يزال لديها نفوذ."

صمتت غليس للحظات، ثم قالت بصوت خافت:

- "أنا السبب، أليس كذلك؟ لو لم أخبرك بكل شيء لما حدث هذا."

مد دانيال يده بسرعة وأمسك يدها دون أن يرفع نظره عن الطريق.

- "لا، غليس. هذا ليس ذنبك. هم من اختاروا أن يكونوا مجرمين، ونحن فقط نحاول كشف الحقيقة."

وصلوا إلى منزل مارك، حيث كانت الأضواء مطفأة والباب مواربًا بشكل يثير الريبة.

تبادل دانيال وغليس نظرة سريعة قبل أن يخرج مسدسه بهدوء.

- "ابقي خلفي، غليس. لا تتحركي حتى أقول لك."

أومأت غليس بصمت، بينما تسلل دانيال بحذر إلى الداخل. كانت الغرفة الرئيسية في حالة فوضى، وكأن شخصاً ما أقلبها رأساً على عقب بحثاً عن شيء ما.

- "مارك؟" نادى دانيال بصوت منخفض، لكن لم يكن هناك أي رد.

فجأة، سمع صوت حركة خلفهم، التفت دانيال بسرعة، لكن قبل أن يتمكن من التصرف، كانت غليس هي من صرخت:

- "Daniyal! خلفك!"

لكن فوات الأوان. ضربه شخص مجهول على رأسه، فانهار على الأرض، بينما أمسكت يد قوية بغيلاس، مانعة إياها من الهرب.

- "حان الوقت لإنهاء هذه المهزلة."

قال الصوت البارد خلفها، وعندما التفت ببطء، اتسعت عيناهَا في صدمة.
لم تكن تتوقع أن ترى هذا الشخص هنا...

شهقت غليس، جسدها يتجمد من الصدمة، بينما حذقت في الرجل الذي أمسك بها. لم يكن سوى رجل جدتها الخاص، الحراس الشخصي الذي رأته عدة مرات بجانبها، لكنه اختفى منذ فترة.

"أنت..." همسَت، بينما شد قبضته على ذراعها، يسحبها نحوه.

"لم أخْتُفِ، غليس. كنت أراقبك من بعيد، أنت ودانيل. وكان على التدخل قبل أن تفسدي كل شيء."

حاولت التحرر، لكن قبضته كانت حديدية. نظرت إلى دانيال الملقى على الأرض، لم يكن يتحرك. قلبه أكاد ينفجر من الرعب، لكنها لم تكن ضعيفة كما كانت من قبل.

-"ماذا تريده؟ جدتي في السجن، لا يمكنك تنفيذ أوامرها بعد الآن!"
ابتسم الرجل بسخرية.

-"ومن قال إنني أعمل لصالحها الآن؟
لقد كانت مجرد وسيلة لتحقيق غايتي،
والآن حان وقت إنهاء هذه القصة
بطريقتي."

ثم أخرج سكيناً من جيبه، ولمعت شفرته تحت ضوء القمر المتسلل من النافذة المحمومة.

- "وداعاً، غليس."

لكن قبل أن يتمكن من طعنها، انطلقت رصاصة شقت الهواء، واستقرت في كتفه، جعلته يتراجع صارخاً من الألم. التفت غليس بصدمة، لترى دانيال مساقياً على الأرض، مسدسه موجه نحوه، وعيناه تشتعلان بالغضب.

- "ابعد عنها... فوراً."

شhec الرجل، وضغط على جرحه، لكنه لم يستسلم. حاول الهروب، لكن الشرطة التي كان دانيال قد استدعاها مسبقاً، اقتحمت المكان في نفس اللحظة، وأحاطت به من كل اتجاه. أمسك به، وسحب للخارج وهو يصرخ مهدداً:

- "لن تنتهي الأمور عند هذا الحد! أنتما لا تعلمون شيئاً بعد!"

لكن غليس لم تعد تسمع شيئاً. سقطت على ركبتيها بجانب دانيال، الذي كان يحاول النهوض رغم الألم.

- "Daniyal! هل أنت بخير؟"

ابتسم رغم الإرهاق، ورفع يده ليلامس خدها بلطف.

- "أنا بخير، لكنك... أنت ترجفين."

أغمضت عينيها، واندفعت لتعانقه، دفت رأسها في كتفه بينما تثبت به بقوة، وكأنها تخشى أن يختفي.

- "ظننت أنني سأفقدك..."

شدّ دانيال ذراعيه حولها، يهمس في أذنها بصوت دافئ:

- "أنا هنا، غليس. ولن أذهب إلى أي مكان."

لكن كلماته لم تخفف من إحساسها بالخطر الوشيك. كلمات الرجل الأخير كانت تدوي في رأسها...

- "أنتما لا تعلماني شيئاً بعد."

ماذا كان يقصد بذلك؟ وما الحقيقة الأخرى التي لم يكتشفوها بعد؟

بينما كانت غليس تمسك بيده دانيال بقوة، شعرت أن قلبه لا يزال ينبض بقلق، وكأن شيئاً مالما ينتهِ بعد. لكن حين نظر إليها دانيال، بعينيه اللتين لطالما منحتاهما الأمان، أدركت أن الماضي بكل مأساته لن يطاردها إلى الأبد.

أخرج دانيال شيئاً من جيبه مفتاح سيارة، ورماه نحوها.

-"تعرفين كيف تقودين، أليس كذلك؟"

نظرت إليه مستغربة.

-"لماذا؟ إلى أين سذهب؟"

ابتسم، تلك الابتسامة التي لم ترها منذ زمن طويل، وقال:

-"إلى حيث نبدأ من جديد."

شعرت غليس بالدموع تترقرق في عينيها، لكنها لم تكن دموع خوف أو حزن، بل كانت خليطاً من راحة لم تعهد لها يوماً. أمسكت بالمفتاح، وقبل أن تتحرك، وجدت يد دانيال تمتد نحو وجهها، يمسح دموعها بلطف.

-"لقد انتهى كل شيء، غليس."

هزّت رأسها ببطء، ثم تفمت بابتسامة صغيرة:

"بل بدأ كل شيء، دانيال."

ركبـا السـيارة، وـمع أـول خطـوة عـلـى الطريق، كانت السـماء قد بدـأت تـتلـون بـأول خـيوط الفـجر. كانت هـذه بداـية جـديدة... بداـية حـقيقـية، بـعيـداً عـن الـظـلام الذي طـارـدهـما طـويـلاً.

ورغم كـل شـيء، كانت مـتأكـدة من شـيء واحد:

لم تعد وحـيدة بـعـد الآـن.

بينـما وصلـا إـلى حـديـقة المـنـزـل، كانت غـيلـس ما تـزال متـوتـرة من كـل ما حـدـث. أرادـت أـنتـقـول شـيـئـا لـكـسر هـذا الصـمت، لـكـنـها لم تـجـد الكلـمات المـنـاسـبة.

لَكْن دانيال، الَّذِي كَانَ مُتَعَبًا وَمَهْمَلًا
بِالكثير من الأفكار، انتبه فجأة لشيء لم
يَكُنْ يَتَوَقَّعُهُ، بقعة صغيرة من الطين
عَلَى حذاءه اللامع. رفع قدمه ببطء، ثُمَّ
نظر إلى غليس التي كانت تحاول جاهدة
كتم ضحكتها.

"لا تضحك..."

قال محذراً، لكنه لم تستطع منع نفسها،
فانفجرت ضاحكة بصوت عالٍ.

توقف لبرهة، ثم ضيق عينيه بمكر.

"حسناً، أنتِ من أردتها هكذا."

قبل أن تدرك ما يحدث، انطلق نحوها
بسرعة

غليس طفلة الظل

نسمات الأدب للنشر الإلكتروني



٣٢٥
جود هلاي

صرخت غليس وهي تفر هاربة، محاولة النجاة بنفسها. كانت الحديقة مليئة بالأشجار والممرات الصغيرة، لكنها لم تجد مكاناً أفضل للاختباء سوى خلف والدة دانيال، التي كانت تراقب المشهد من بعيد بابتسامة.

- "أمي، أنقذيني!"

قالت غليس وهي تحتمي خلفها، بينما وقف دانيال أمامهما، يضع يديه على خصره بتحمّد.

رفعت والدته حاجباً وقالت بمكر:

- "دانيال، لا تؤذ ضيفتي."

ضحك دانيال وهز رأسه بيأس، ثم نظر إلى غليس، التي أخرجت لسانها مازحة،

قبل أن تختبئ أكثر خلف الحماية التي وجدتها.

طبق دانيال يديه معاً وابتسم بخبث، ثم قال:

- "ضيوفتك؟ أمي العزيزة، هل تعلمين أنه ليس من الحكمة أن تمنعي رجلاً عن زوجته؟"

ابتسمت ماري والدة دانيال بدهشة، بينما اتسعت عيناً غليس مصدومة من كلماته.

شعرت بحرارة تسري في وجهها، وقلبها يكاد يقفز من صدرها.

- "ماذا؟!"

صاحت وهي تحاول الاختباء أكثر خلف والدة دانيال، لكن الأخيرة ضحكت بخفة وقالت:

- "آه، إذن هذه هي الحقيقة؟ ولماذا لم تخبرني من قبل، دانيال؟"

رفع دانيال كتفيه بلا مبالاة، متقدماً خطوات واثقة نحو غيلس التي ما زالت تختبئ:

- "لأنها لم تكن تعرف بعد."

نظرت غيلس إليه بصدمة، ثم صاحت:

- "دانيال! كيف تجرؤ على قول ذلك؟ متى وافقتُ على الزواج منك؟!" اقترب أكثر وابتسم بمكر:

- "حسناً، لم تعرفي بذلك بعد، لكن لا تقلقي، سأجعلكِ تفعلين قريباً."

ضحكت والدة دانيال قائلة:

- "أرى أنني سأكون جدة قريباً أيضاً!"

احمر وجهه غليس تماماً، بينما استغل
دانيال الفرصة ليقترب منها أكثر، لكنّها
استدارت بسرعة وركضت متعددة وهي
تقول:

- "انس الأمر، دانيال!"

لكنه لم يتوقف، بل انطلق خلفها وهو
يضحك، ليملأ ضحکهما أرجاء الحديقة،
كان الماضي المؤلم قد بدأ يتلاشى،
ليترك لهما بداية جديدة... مفتوحة على
كل الاحتمالات.

النهاية

"رواياتي ليست مجرد قصة غموض أو صراع نفسي، بل هي رسالة لكل قلب خائف، لكل من شعر أنه محاصر بماضيه، وكل من فقد الأمل. الحياة قد تكون قاسية، والناس قد يخيبون ظنك، لكن هناك عدالة على إلا تغفل، وهناك رب يجبر القلوب حين تظن أن لا جبر لها.

غليس ظنت أن ماضيها سيحكم عليها إلى الأبد، لكنها وجدت طريقها إلى الحقيقة والخلاص.

دانيل بحث عن العدالة، لكنه أدرك أن الرحمة والجبر الإلهي أقوى من أي انتقام. قد نظن أننا وحدنا، لكن في النهاية، هناك نور يبعد الظلم، ورحمة

تمسح الألم، ويد إلهية تمتد إلينا حين
نظن أننا سقطنا بلا رجعة. المواجهة قد
 تكون مخيفة، لكن الله لا يخذل من يختار
 طريق الحق."